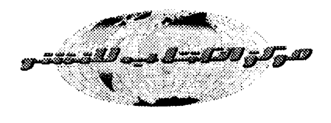
معالم شهر الصيام

تأليف

دكتور
أحمد عبدالرحيم السايح

دكتور
أحمـــد عبـــده عـــوض

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م



الطبعة الأولى
٢٠٠٣م



مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

المقـدمـة

الحمد لله الذى جعل الصوم حصناً حصيناً لعباده، وتولى جزاءهم، وأضافه إلى دون غيره؛ إعلاماً للكافة بباهر فضله وعظيم جزائه، وخصه من الفضائل والحكم والأحكام بما تقصر العقول عن الإحاطة بعلى كمال وعليائه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى اختصه الله بكريم آياته، وعلى آله وصحبه وذوى نسبه، ومن اهتدوا بهديه، واتبعوا نهجه، واستنوا بسنته. . وبعد:

فقد شرع الله تعالى الصيام، وكتبه على هذه الأمة المحمدية العظيمة، وجعله فرضاً على عباده كما كتبه على الأمم السابقة؛ وذلك لبلوغ غاية التقوى، والانتفاع بفوائد الصيام الروحية والبدنية والنفسية، فضلاً عن النواحى التعبدية والاجتماعية والأخروية له.

فالصوم مدرسة للصبر والاستقامة وتقوية العزيمة والإرادة، وعنوان الاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله الكريم ﷺ، ناهيك عن تشبه الصائم بصفة الملائكة عليهم الصلاة والسلام من ترك المطعم والمشرب؛ لتقع المشاركة لهم فى تلك الحالة مضافاً إلى ما تميزوا به من التكليف بقهر الشهوات، وأنواع الطاعات والعبادات، فتميزوا بالفضيلتين على باقى الثقلين.

كما أن الصائم يقهر عدوه، وهو الشيطان؛ فيذل سلطانه، ويبطل سطوته، فى تحكمه على النفس ببث الشهوات، والحث على الرغبات، المردية فى المهلكات. وتولى الجوع يدفع محنته، ويقطع حجته، ولأجل ذلك ورد فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى ومسلم **«إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش»**.

وليس خافياً على ذى لب أن الصيام يحفظ جوارح العبد المسلم بمساعدته على حفظها؛ لكونها الموصلة إلى سبعة أبواب جهنم؛ وهى: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليدان، والرجلان، والصيام مضيق لهذه الأبواب

المفتوحة. فإن الصيام ينشأ عنه الجوع، والجوع يحسم مثار الشهوات، ويقطع مواردها. وعندئذ فإنه يوجد صفاء الخواطر عن الكدرات، وينور الباطن من الظلمات؛ فإن المعدة بمثابة الحوض يجتمع فيه ما يلقى إليه من الأغذية، فإذا أفرط فى الشبع ثقلت الأعضاء بما يمدها وتثاقلت عن الإجابة للخدمة، والإنابة للطاعة، وفترت عن العزيمة فيما يقضى بنجاتها فى العقبى، وهذا ما نجده فى قول الصحابى جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنه «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل صومك وفطرك سواء».

هذا عن أثر الصوم فى المسلم فماذا عن أثره فى المجتمع الإسلامى؟ وماذا عن بعض الأحداث الإسلامية فى شهر رمضان؟ وماذا عن فضائل رمضان فى أوله ووسطه وآخره؟ وماذا عن أخلاق الصائم؟ وماذا عن بيوتنا فى رمضان؟ وكيف تكون؟ وماذا عن اغتنام الأوقات فى شهر الطاعات؟ وماذا عن كيفية تحصيل الخير فى رمضان؟ وماذا عن ثمرات الصيام؟

وسعياً للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها؛ يأتى كتابنا **(معالم شهر الصيام)** الذى تناول اثنين وعشرين مبحثاً؛ شلمت موضوعات الصيام، وبعض أحداث الشهر الفضيل، وكيفية الانتفاع به، وتحصيل الخير فيه.

وقد حاولنا أن يكون التناول بشىء من التبسيط والتيسير على القارئ الكريم مع الأخذ فى الاستطراد والتوضيح إذا اقتضى الموضوع ذلك.

ومادة هذا الكتاب غاصت فى أعماق مزايا الصيام وفوائده وثماره، وحقه على المسلم، وأثره فى المجتمع. وكان منطقياً أن تبدأ المعالجة ببيان دور العبادة فى حياة المسلم، مروراً بأثر الصيام على سلوك المسلم، وذكر عطايا الرحمن فى شهر رمضان، وبيان مدرسة الصوم، وفضل الدعاء فى رمضان، ثم التوقف عند المعانى الإيمانية فى الصيام، وكيفية تحصيل الخير فيه، وبيان سيرة النبى الأعظم ﷺ فى رمضان، ووصف أخلاق الصائم، والمجتمع الإسلامى فى رمضان ، ورصد بعض أحداث رمضان مثل فتح مكة، وغزوة بدر الكبرى، وختاماً ببيان فضل الاجتهاد فى العشر الآواخر من رمضان، ثم توضيح ثمرات الصيام.

ولأن أحاديث النبى الكريم ﷺ نور متدفق، ومعين لا ينضب، وغذاء روحى عظيم؛ فقد جمعنا الكثير من أحاديثه ﷺ التى دارت حول موضوعات الصيام، ومعالم الشهر الفضيل، وأهم أحداثه، وجعلناه فى فصل مستقل.

وقد رأينا حصر هذه الأحاديث الشريفة؛ لتكون زاداً للمسلم، ومرجعاً وافياً يسترشد به فى التعرف على أقواله وأفعاله ﷺ فى أيام الشهر ولياليه، وعند استقباله، وعند وداعه. وهذا ما عبرت عنه الأحاديث المجموعة هنا فى ستة عشر باباً من أبواب الصيام، ومعالم رمضان.

وكانت نهاية الرحلة الرمضانية مع معالم شهر الصيام بذكر بعض الأدعية النبوية؛ التى يرجى أن ينتفع بها الصائم فى صيامه وقيامه وأوقات طاعته، وساعات ذكره وضراعته.

اللهم اجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم، وتقبله منا ياذا الجلال والإكرام.. اللهم انفع به المسلمين، واجعله حجة لنا لا علينا، وأثقل به موازيننا، وارفع به درجاتنا فى أعلى عليين... والحمد لله رب العالمين.

المؤلفان

دور العبادة فى حياة المسلم

إن لله سبحانه وتعالى على عباده نعماً كثيرة، لا يحصيها عد، تطالع الناس فى الصباح وفى المساء وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، منها المنظور والمستور، والمعلوم والمجهول.

ومن هذه النعم التى لا تحصى نعمة تفضل الله على عباده ببعث رسول منهم فى العالمين، يتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ونعمة تكريمهم بدين الإسلام الذى ارتضاه لهم، ونعمة القرآن الكريم الذى جعله هادياً وموجهاً.

ومما لاريب فيه أن النبراس الهادى جاء به رب العزة ليقوّم اعوجاج المجتمعات الإنسانية، وينظم علاقات الأمم والخلائق، ويربط بين الأفراد والجماعات برباط الصلاح والتقوى.

ومن هذه النعم التى أفاضها الحق على عباده نعمة الحياة والإيجاد، ونعمة الخلق والإمداد والإعداد، مما غدا به الإنسان أعظم آية من آيات الله فى خلقه، وأصبح يشكل أروع آية للدلالة على وجود الخالق وضرورة الإيمان به.

ومن هذا المنطلق كانت العبادة لله عز وجل اعترافاً بفضله، وحتمية لاستشعار عظمته، وتعميقاً للخضوع له، والخشية منه، وتأكيدا لباب الحب فيه، والولاء له.

تلك هى العبادة الواجبة لله، والتى لا يجد الإنسان العاقل كيانه إلا فيها، ولا امتداده إلا بها وفى ظلها، ولا وجوده إلا فى الالتزام بها قولاً وعملاً، وأمراً ونهياً، وخلقاً وسلوكاً، وواقعاً وتطبيقاً، وحركة وسكوناً بحيث تصبح العبادة فى حياته أسلوب عمل ومنهاج حياة.

ولا يخفى أن الفرائض التى فرضها الله تعالى على عباده جاءت من الإسلام اهتماماً بالإنسان حتى يتمكن من أداء رسالته فى الحياة، فيغدو لوجه الله تابعاً، ولمنهجه ملتزماً، وإلا كان أمر الإنسان فرطاً، يصبح ويمسى فإذا هو أحد هوام الخلق ودوابه أو أقل شأناً. فما أسقط المخلوق صلته بالخالق إلا وأسقط الخالق صلته به فى الأولى والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[الأعراف:١٧٩].

وحسب المسلم أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى أمره بالعبادة لمصلحة المسلم نفسه، ولما يعالج حاله، ويعود عليه بالنفع العظيم الشامل لكل حياته المادية والروحية، الفردية والاجتماعية، ليظل الإنسان إنساناً، آخذاً فى سبيل الترقى والكمال.

والعبادات فى الإسلام تتميز بالشمول والاستغراق، بحيث تشمل حياة المسلم وتستغرق نشاطه كله، فيصبح المسلم ويمسى وللعبادة أثرها فى حياته وتكوينه وفى ذاته وأخلاقه وسلوكه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨].

فهذه الآية الكريمة .. تحدد غاية الخلق.. كما تبين الحكمة الشرعية الدينية فى خلق الجن والإنس .. والتى هى وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بتلك العبادة.

وأصل العبادة: التذلل والخضوع .. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى.

والعبادة بهذا المفهوم.. لا تكون إلا لله وحده، وليس لأحد سواه قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٩٢]، والمقصود .. هو عبادة الله وحده لا شريك له.

فالدين كله داخل فى معنى العبادة. . إذ هو يتضمن معناها. . فدين الله. . عباداته، وطاعته، والخضوع له.

وكلام المفسرين يفيد صراحة : أن العبادة المأمور بها الإنسان، تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب أيضاً. . إذ هى تتضمن غاية الذل، بغاية المحبة لله سبحانه وتعالى. فالخضوع مع البغض ليس عبادة، والحب بدون الخضوع ليس عبادة، وبهذا تكون العبادة كمال التعظيم والخضوع لله عز وجل مع كمال المحبة له. . . وبدون الأمرين لا يتحقق للعبادة معنى.

وبالعبادة يقف الإنسان من ربه على مكانته، وفى الكون على مركزه، وفى المجتمع على موقعه، متفاعلا مع هذه المجالات بالتنمية، والإثراء، والأخذ والعطاء.

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولا لعبا. . وإنما خلقهم لهذه الغاية ولو أدرك الناس حقيقة هذه الغاية، لحققوا الخلافة فى الأرض.

فالله تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له. . فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء. . والله غيرمحتاج إلى العباد. . بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

والعبادة فى الإسلام. . هى المظهر الإيجابى، والتجسيد العملى والبرهان الصادق للعقيدة التى جاء بها الإسلام.

ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة . . لكانت عقيدة عقيماً، لا دليل عليها ولا أثر لها.

كذلك العقيدة من غير عبادة تظل مجرد نظرية . . حتى تترجمها العبادة وتحولها إلى عامل نابض، وجهاد صادق فى الحياة. . ثم تستمد منها غذاءها وضياءها . . فلا تذبل. . أو تذوى. . أو تضحمل.

وإنما تظل بفضل العقيدة متقدة الشعلة، متألقة الضياء. . وهكذا نرى العقيدة تمد العبادة بالقوة والفاعلية. .

وللعبادة فى الإسلام شأن كبير يبدو جلياً واضحاً فيما يعكس من آثار العبادة على حنايا النفس، والقلب والعقل، والفكر عمقاً وبعداً، آخذاً امتداده على صفحة الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله.

وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو إلا كان صاحبها مشعل إشعاع ومركز خير، وموئل عز، وما نشأ مجتمع على هذا النحو إلا استوى أمره، واستقام حاله.

وإذا كانت العبادة غاية الوجود الإنسانى. كما هى غاية كل وجود. فإن مفهومها لا يقتصر على المعنى الخاص الذى يرد إلى الذهن، والذى يضيق نطاقها حتى يجعلها محصورة بأنواع الشعائر الخاصة التى يؤديها المؤمن، إن حقيقة العبادة تبدو فى معنيين . . أولهما عام، والآخر خاص.

أما العبادة بالمعنى العام . . فإنها تعنى السير فى الحياة ابتغاء رضوان الله وفق شريعة الله. فكل عمل يقصد به وجه الله تعالى، والقيام بأداء حق الناس استجابة لطلب الله تعالى بإصلاح الأرض، ومنع الفساد فيها يعد عبادة، وهكذا تتحول أعمال الإنسان مهما حققت له من نفع دنيوى إلى عبادة إذا قصد بها رضاء الله.

والعبادة . . ما تكاد تستقر حقيقتها فى قلب المسلم، حتى تعلن عن نفسها فى صورة عمل، ونشاط وحركة، وبناء.

عبادة تستغرق نشاط المسلم . . بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع الناس.

وبهذا الاستغراق وهذا الشمول. يتحقق معنى الخلافة فى الأرض، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة: ٣٠].

لأن الخلافة فى الأرض هى عمل هذا الكائن الإنسانى . . وهى تقتضى ألواناً من النشاط الحيوى فى عمارة الأرض والتعرف على قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها وتحقيق إرادة الله فى استخدامها وتنميتها، وترقية الحياة فيها . . كما تقتضى الخلافة القيام على شريعة الله فى الأرض، لتحقيق المنهج الإلهى الذى يتناسق مع الناموس الكونى العام.

ومن ثم يتجلى أن معنى العبادة هى غاية الوجود الإنسانى، أو حتى هى وظيفة الإنسان الأولى. . أوسع وأشمل من مجرد الشعائر. . وأن وظيفة الخلافة داخلة فى مدلول العبادة قطعاً.

إذن حقيقة العبادة تتمثل فى أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله فى النفس، أى استقرار الشعور، على أن هناك عبداً ورباً. . عبداً يعبُد. . وربا يُعبَد. . وأن ليس وراء ذلك شىء وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار، ليس فى هذا الوجود إلا عابد ومعبود، إلا رب واحد، والكل له عبيد.

الثانى: هو التوجه إلى الله بكل حركة فى الضمير، وكل حركة فى الجوارح، وكل حركة فى الحياة. . التوجه بها إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد لله.

بهذا وذاك يتحقق معنى العبادة. . قال تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[**الفاتحة**:٥]، والعبادة هى العبودية المطلقة، معنى وحقيقة، وكل ما يأتى به المسلم فى طاعة الله فهو عبادة. . لذا جملة ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ كلية اعتقادية. . فلا عبادة إلا لله. . ولا استعانة إلا بالله.

وفى هذا مفرق طريق. . مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد.

وهذه الكلية تعلن ميلاد التحرر البشرى الكامل الشامل. . التحرر من عبودية الأوهام والتحرر من عبودية الأوضاع. . وإذا كان الله وحده هو الذى يُعبَد، والله وحده هو الذى يُستعان، فقد تخلص العبد من استذلال النظم، والأوضاع، والأشخاص. كما تخلص من استذلال الأساطير، والأوهام، والخرافات.

أما العبادة بالمعنى الخاص: فهى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً. . وهى نوع من التربية. . ففرائض الإسلام تخاطب كل الجوانب فى الإنسانية، وتفى بكل الحاجات، وتصحح كل الاتجاهات.

لكن هذا المعنى الاصطلاحى هو المعنى الخاص للعبادة، أما معناها العام فهو أشمل من ذلك بكثير، إذ يعنى كل قول أو فعل للمسلم اتجهت نيته فيه إلى كونه يقوم به (طاعة لله تعالى وامتثالا لأمره) وهنا يدخل فى معنى العبادة كل عمل دنيوى قصد فيه معنى طاعة الله تعالى، وإن كان فيه حظ النفس والرغبة، وإن كان فيه قضاء للشهوة. ومن هنا كان وضع الشهوة فى حلال صدقة، وعملاً من أعمال إثابة المسلم، كما قال رسول الله ﷺ :« **وفى بضع أحدكم صدقة. قالوا: يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام. أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر**».

وأيضاً ما روى من حديث «**تبسمك فى وجه أخيك لك به صدقة**»، ورواه الترمذى عن أبى ذر رضى الله بزيادة «**وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك للرجل فى أرض الضلال لك به صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والأذى عن الطرق لك صدقة. وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة**»

[رواه أحمد والترمذى وابن حبان عن أبى الدرداء رضى الله عنه]

وحينئذ تأخذ أعمال المسلم وأقواله طابع (العبادة) ولو كانت محض أعمال دنيوية كالأكل والشرب والسعى فى طلب الرزق لإعفاف النفس والغير ما دامت نية الطاعة وراء هذا كله.

بل إن الامتناع عن فعل المحرمات يدخل فى معنى (العبادة) أيضاً إذا كانت نية الطاعة وراءه. ومن ثم جاز أن يستشفع الإنسان بهذا الامتناع لتفريج الكربات، كما فى حديث النفر الثلاثة الذين كانوا فى غار أغلقته صخرة من أعلى الجبل، حيث استشفع ثانيهم بامتناعه عن الزنا بابنة عمه التى كان يحبها أشد الحب لماناشدته الله، فامتنع طاعة له سبحانه، وابتغاء مرضاته.

وهنا تكون حياة المسلم كلها تحقيقاً لمعنى (العبادة) بمفهومها الشامل وهو بعض ما يُفهم من قوله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾.

وحين نكتب عن (العبادة) بمفهومها الاصطلاحى الخاص، ينبغى أن لا يغيب عن ذهننا أن الحياة الصحيحة للمسلم ينبغى أن يتحقق فى كل وقت منها معنى (العبادة) بمفهومها الشامل لكل نشاط أو امتناع عن عمل، أو قول، بل أن صمت المسلم وتفكره يكون عبادة وذكراً.

وحين نضع فى ذهننا هذا المعنى الشامل تسقط على الفور كل دعوى باطلة لفصل جانب من الحياة عن الدين والعبادة، فإذا جاز فى عقيدة أخرى لن يكون هناك ما للّه وما لقيصر فإن ما فى الحياة كلها فى الإسلام ينبغى أن يكون لله تعالى وحده دون شريك أو شبه شريك.

ومن وراء كل ذلك.. نجد أن العبادات فى الإسلام، تدعو إلى الوحدة والجماعة، وهى أساس لوحدة التفكير، ووحدة المفاهيم الأساسية فى الحياة، بل ووحدة القيم، والمقاييس الخلقية، والنظر إلى الخير، والشر، والفضائل، والرذائل.. وقواعد السلوك.

والعبادات فى الإسلام تنتهى إلى نتيجتين :

أولاهما : الاتجاه إلى تربية الوجدان الدينى الذى يجعل المؤمن بالإسلام مؤتلفا مع غيره، ليتكون من هذا الائتلاف مجتمع إنسانى متواد متحاب.

والثانية : أن غاية العبادات فى الإسلام ليست مجرد التقوى السلبية، لأنها تتجه إلى النفع الإنسانى العام، وإلى إيجاد مجتمع متحاب، غير متباغض ولا متنازع.. فعلاقة الإخلاص لله فيها أن تكون مطهرة للقلب قاضية على الشر فيه مؤلفة بينه وبين الناس من غير مغالاة.

ويوم أن يدرك المسلمون حقيقة العبادة فى الإسلام .. ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الإسلام هو المنهج الأمثل.. ويوم أن تكون الفرائض الإسلامية عملاً بناء.. لاحركات تؤدى .. ويوم أن تكون (لا إله إلا الله) المنطلق الوحيد للمسلمين .. يومها وبكل تأكيد سوف يتحقق للمسلمين بإذن الله تعالى نجاح رائع فى كل نواحى الحياة.

استقبال رمضان، وخصائصه

إن لاستقبال شهر رمضان خصائص وواجبات؛ نستعين بالله تعالى فى تبيانها فى هذا المقام، وهذه المناسبة الكريمة، مناسبة استقبال الشهر الفضيل.

فقد كان السلف رضوان الله عليهم يتأهبون لقدوم شهر رمضان قبل الاستهلال، وتستبشر به نفوسهم وتستشرف لنظره استشرافها لقدوم غائب عزيز من سفر بعيد؛ لأنه موسم العبادة، وشهر الطاعة والغفران وما أشوق نفوسهم إلى الطاعة للملك الديان، وطلب مغفرته عز وجل.

فقدوم الشهر الفضيل فرحة لأهل الأرض وأهل السماء، فالجنة تتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان، والملائكة تستبشر بالشهر الكريم، فقد روى الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفُتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب. وينادى منادٍ: يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**».

وروى البخارى رحمه الله عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: « **إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الرحمة، وغُلقت أبوابُ جهنم، وسُلسلت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة**».

ويستفاد من هذه الأحاديث الشريفة أن رمضان شهر خير ورحمة، وتصفد فيه مردة الجن والشياطين، أى تقيد وتسلسل حتى لا يصل شرها إلى الصائمين، وسلسلة الشياطين حسم لمادة الشر، وبذلك يتلمس القلب طريقه إلى النور والهدى بخلو المانع، وهذا يفسر لنا السر فى أوبة كثير من الضالين فى هذا الشهر الفضيل.

وفيها أن أبواب النار تُغلق تكرمةً لدخول شهر رمضان، وفيه أن أبواب الجنة تُفتح؛ تكريما لهم فى شهر الصيام، وأن منادياً خاصاً ينادى بدعوة الخير والصلاح، وفيه أن لله تعالى عتقاء من النار فى كل ليلة من لياليه الوضيئة.

وتزين الجنة لقدومه هو ابتهاج بمقدمه، وإنما تفتح أبواب الجنة فى هذا الشهر لكثرة الأعمال الصالحة وترغيباً للعاملين، وتغلق أبواب النار لقلة المعاصى من أهل الإيمان، وتُصفد الشياطين؛ فتغل فلا يخلصون إلى ما يخلصون إليه فى غيره.

وقد كان ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان. فعن أبى هريرة رضى الله عنه كان النبى ﷺ يبشر أصحابه ويقول: **«قد جاءكم شهر رمضان؛ شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه..** »الحديث.

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: **«أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ....»** الحديث.

لقد أظلنا شهر كريم، وموسم عظيم يعظم الله فيه الأجر، ويفتح أبواب الخير فيه لكل راغب، شهر الخيرات والبركات، وشهر المنح والهبات، نستقبل فيه الرحمات، ونلتمس مغفرة السيئات ومضاعفة الحسنات.

ومع إشراقات الشهر الفضيل، وهلاله، ومع بزوغه نستقبل هلاله داعين بالسلامة والإسلام. أخذاً بسنة خير الأنام ﷺ قائلين عند رؤية الهلال «الله أكبر - اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان، والسلام والإسلام. ربى وربك الله، اسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى - الله سلمنا من رمضان وسلمه منا، ينقضى وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا».

وقد كان ﷺ يدعو ببلوغ رمضان. فكان إذا دخل رجب يقول: **«اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان»**. وقال المقلى بن الفضل: كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

قال يحيى بن أبى كثير: «كان من دعائهم اللهم سلمنى إلى رمضان، وسلم لى رمضان، وتسلمه منه متقبلا».

اللهم اجعلنا من المقبولين فى الشهر الكريم الفضيل، وخُصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء الجزيل اللهم أهل علينا شهر رمضان بالسلامة والإسلام، والأمن والأمان، واغفر لنا كل قبيح سلف وكان. واعتقنا فيه من لفحات الجحيم والنيران، وأعنا على الخير يا من إذا استُعين أعان.

* * *

كيفية الصيام فى الديانة اليهودية والنصرانية

يقول الحق سبحانه وتعالى فى أول آية قرآنية بدأ بها تشريع الصيام، وفى أول سورة قرآنية بالمدينة المنورة بعد الهجرة الكبرى من مكة المكرمة ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[**البقرة** : ١٨٣] .

وعلينا أن نتأمل قوله تعالى﴿ **الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ حيث تستثير عقولنا لنتساءل عمن يكون هؤلاء الذين من قبلنا؟

فمن الناحية التاريخية يبدو جلياً أن الصيام كان دائماً شريعة مفروضة فى سائر الأديان، سواء ما عرف منها كاليهودية والنصرانية أم تلك الأديان التى تلاشت عبر الأزمان، ولم يبق سوى بعض الآثار والبقايا .

فقد احتل الصيام مكاناً بارزاً فى الحياة الدينية التاريخية للشعوب الغابرة . مع اختلاف الهدف منه باختلاف الزمان والمكان فهو أحياناً وسيلة للتطهر والتقرب إلى الله، واستلهام هداه فى الرؤى والأحلام كما هو عند قدماء اليونان، كما أنه كفارة للذنوب لدى بعض الديانات، كما كان يزامن المناسبات السعيدة أحياناً، وفى مناسبات الوفاة أحياناً أخرى . كما كان تضرعاً إلى الله تعالى لكشف الضر .

هذا عن أهداف الصيام قديماً، وأما عن شكله فقد اختلف بين امتناع كامل أو جزئى، عن الطعام كله أو بعضه، أو عن الشراب كله أو بعضه، وربما شمل الصيام امتناعاً عن ملذات أخرى .

وعندما دخل التاريخ البشرى دائرة الضوء بالتدوين والتسجيل حين أشرقت ثلاثة أديان سماوية كبرى : اليهودية ثم النصرانية ثم الإسلام . فإذا بهذه الأديان ثلاثتها تجمع ولاتزال على فريضة الصيام .

ففى الديانة اليهودية نجد الصيام الأربعينى عند موسى عليه السلام . وقد كان امتناعاً عن الطعام والشراب مدة أربعين يوماً، ويبدو أن موسى عليه السلام

أختص بها؛ بغرض التقرب إلى الله، واستقبال وحيه، كما كان للاستغفار عن ذنوب اليهود وخطاياهم.

ونقرأ فى الذكر الحكيم ﴿ **وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ** ﴾[البقرة: ٥١]، وهى التى صامها موسى عليه السلام للغرض المشار إليه فضلاً عن مقاومة الشر والقهر. وتحرر المستعبدين، ثم بإكرام المحتاجين. هذا ما كان عليه موسى عليه السلام غير أن اليهود أعرضوا عن ذلك ولم يلتزموا بالصيام الأربعين الموسوي، واقتصروا على يوم واحد هو يوم الغفران، وهو اليوم العاشر من الشهر السابع حسب التقويم العبرى وكل ما هو مطلوب: تذليل النفوس، والامتناع عن كل عمل، وهو يوم عطلة مقدسة، يصومون فيه ويقدمون قرباناً للرب.

وبعد موسى عليه السلام تعدد الصيام عند اليهود، فهناك من التزم بالصوم الأربعينى، وهناك من يصوم عند دفن الميت سبعة أيام، وهناك من يصوم للضراعة والاسترحام، وهناك صيام لإذلال النفس وإرهاق الجسد.

وقد اختلف اليهود فى توقيت الصيام بعد موسى عليه السلام فقد تباينت أوقات صيامهم باختلاف أعيادهم وشهورهم، غير أننا نجد أن بعضهم يصوم يوم الخميس، وهو يوم ذهاب موسى عليه السلام للجبل لاستقبال الوحى الإلهى، ويوم الاثنين الذى عاد فيه من الجبل.

ونجد بدايات الصوم الجزئى فى الديانة اليهودية بالامتناع عن بعض الطعام مثل الامتناع عن أكل اللحوم وشرب الخمر دون ماعداهما مما سنجد له صدى فى الديانة النصرانية.

وفى الديانة النصرانية نجد إشارات عديدة لصيام المسيح عليه السلام فى الأناجيل المتعددة، غير أن هذه الأناجيل لم تحدد أياماً للصيام، ولا ساعة لبداية الصوم، كما لم تحدد لهذا الصيام التزامات أو ممنوعات أو مباحات، وكان الغرض من الصيام التبروء من الرياء والنفاق إلى صدق الإخلاص وخالص الصفاء لوجه

الله تعالى الذى يرى فى الخفاء حقاً حقاً، وهذا هو المضمون الأخلاقى السامى للصيام، على أن الصيام المسيحى ارتبط بطابع النوح وإعلان الحزن، وأن السيد المسيح وضع للصيام آداباً وتعاليم كما تقول الأناجيل؛ لضمان صفائه من الرياء والنفاق.

وأننا لنجد أن الرعيل الأول من اتباع المسيح دفعهم الحماس الدينى الجارف إلى الصيام الطويل، وفى ذلك ماناسب سياحتهم فى الصحراء بعد ذلك.

وقد أشارت الأناجيل إلى صيام يوم ذكرى قيامة المسيح، وأشارت إلى صيام يومين من الأسبوع هما الأربعاء والجمعة مخالفة لليهود الذين يصومون الاثنين والخميس.

وفى العهود التالية تحول الامتناع المطلق عن الطعام دون الشراب الذى كان موجوداً فى العهد الميسوي إلى الامتناع فقط عن بعض المأكولات كما لاحظنا فى الديانة اليهودية.

وختاماً - فإن الديانتين اليهودية والمسيحية اشتملتا على تشريع الصيام كما ورد فى التوراة والأنجيل ثم جاء الإسلام بنوره المتدفق وبشريعته التامة التى جعلت الصيام ركناً من أركانها ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[المائدة:٣].

***

صوم رمضان
وآثاره على الصائم

إن الدين الإسلامى هو منهج الله الأمثل. الذى يستهدف صنع الحياة، والوجود على دعائم مكينة من الحق، والعدل، والخير، والفضيلة.

ولقد جاء الإسلام، وهو يبتغى هذه الغاية، ويرمى إليها، ويقود نحوها منهجاً متكاملاً. لم يعرف البشر، ولن يعرفوا منهجاً أمثل من منهج الإسلام، وهو يبصر الناس بمكانهم من ربهم، ومكانة ربهم منهم. حيث يبين لهم، أن الله ربهم، وهم عباده، ومن حق الربوبية إعظامها وإكبارها. ومن واجب العبودية أن يعيش المرء فى حجمه، وأن يشعر بمكانه وأن يدرك طبيعته.. فهو مخلوق لربه الخالق.

ومخلوق على هذا النحو لإله له الجلال، والكمال، والجمال. لابد من أن يشعر نحو ربه بكل الإعظام له، والخشوع إليه، من حيث كونه لذلك أهلاً، لما تميز به الإنسان من سائر الخلق. بالمسئولية والتكليف خلقه الله سبحانه وتعالى، وجعل له رسالة ضخمة، ووظيفة حيوية، جاء لها مستعداً، ولها مهيئاً. ولهذا جاء الإسلام يستهدف الناس فى منهجية متكاملة، يتلاقى فيها مع ربه ونفسه، وبيئته ومجتمعه.

نلمس ذلك جيداً، فى كل مجالات الإسلام: فى العقيدة، وفى الشريعة، وفى الأخلاق، والسلوك، وفى علائق الإنسان بربه. ونفسه، ومجتمعه. تشهد بهذا كل أركان الإسلام وقواعده، من أولها إلى آخرها.

والصيام - وهو أحد هذه الأركان والفرائض التى فرضها الله على المسلمين وأمرهم بها، ودعاهم إليها - إنما تتمثل فيه هذه الجوانب، ويستهدف هذه الأهداف بكل صور القصد، والإحاطة، والشمول، وبجميع الأبعاد، والأعماق، فى طوايا ومظاهر النفس، والفرد، والمجتمع، والأمة. يلبى داعيتهم، ويغطى

حاجتهم. ويصوغ الحياة والأحياء، مع بقية قواعد الإسلام وأركانه، ويعيد تشكيلها على أسس من الطهر، والنقاء، والإيجابية، والبناء.

أن للصوم أهداف حيوية، وغايات عملية. ترتبط كلها أيما ارتباط بخواطر الوجدان والشعور وجوانب الأخلاق والسلوك. . وتدور جميعها فى ذلك المنهج الربانى، لبناء النفس، وتكوين معالمها، وإعداد مقوماتها، وصقل أمرها. لتنهض بأمانة الدين وأمانة الدنيا.

والتقوى بطبيعة الحال أول هذه الأهداف وأوسعها دائرة. وأكثرها حجماً، وأجزلها عطاء. وأبرها بأمور الدنيا، وأوفاها بشئون الآخرة.

وتقوى الله فى مدلولها العام، ومفهومها الشامل. ترجع إلى اتقاء الإنسان، كل ما يضره فى نفسه، وفى أسرته وفى مجتمعه، وما يحول بينه وبين المقاصد الإنسانية والكمال الممكن.

وما شرعه الله فى رسالة الإسلام أمراً ونهياً وسيلة لهذا الكمال النفسى، والكمال الخلقى، والكمال الفكرى، والكمال السلوكى.

إن التقوى هى العاصم الذى ينبثق من خلال الصوم، وتنفجر ينابيعه، وتتعدد معطياته فى شمول، وعمق بحيث يضع النفس، والجوارح فى مواجهة حقيقية، وأكيدة أمام تباعاتها المسئولة، وفى إطارها العام.

وإن للصوم كالسائر العبادات فى الإسلام. غايات تشريعية، أشارت إليه الآية القرآنية فى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

إن الإسلام لا يدعونا إلى التقوى، ولا يحضنا عليها. إلا وهو يوجهنا إلى بواعثها ويقودنا إلى روافدها، ويبصرنا بمواقع استلهامها، ومواطن الحاجة إليها، والعمل بها كخصلة جامعة، تمسك لبنات المجتمع، وتشد بنيانه، وتوثق عراه، وتحيله إلى خلايا إيجابية حية، ومتعاونـــة. تجعل الإنســـان لا يقصر عن نجدة،

ولايضيق بمروءة، ولا يتبرم بهتاف، ولا يطمع فى حق ليس له، ولا يفرط فى واجب. إنما يعيش فى أمته تقياً خالصاً صافياً.

فالإسلام الحنيف يدعونا فى صيام شهر رمضان. أن نمنح التقوى حقها الواجب، وقدرها المستطاع، من الطاقات، والقدرات، فى النفوس، والضمائر، وفى شتى صور التعامل وأنماط الحياة.

ومن شأننا أن نسارع إلى التقوى، ونستبقها، ونجعلها زادنا إلى الله، وعدتنا فى طريقه. نستلهم منها يقظة الحس، وحيوية النفس، وصحوة الضمير، واستواء الخلق، واستقامة السلوك.

إن تقوى الله، تبارك وتعالى. حين يحضنا الإسلام عليها، ويدعونا إليها. إنما يدعونا إلى الوقاية الذاتية، والمتابعة الأمينة، والمحاسبة الدائبة، والمراجعة الدقيقة، لكل ما يصدر عن الإنسان.

وإذا كانت التقوى هى الغاية التشريعية، التى أشارت إليها الآية الكريمة، فى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وإذا كانت (التقوى) هى حالة تتكون فى النفس، نتيجة للإيمان بالله. فما هو دور الصوم فى إيجاد هذه الحالة؟.

إن الصوم هو المعاناة العملية، لتوطين النفس ورياضتها، على تربية النزعة الإيمانية فى الفرد والمجتمع. ويتحقق ذلك من خلال مظهرين:

المظهر الأول: مظهر الرياضة على الصبر، والخشونة فى مواجهة الحياة.

والمظهر الثانى: مظهر المراجعة العامة، وكشف الحساب مع النفس، فى دورة تدريبية أمدها شهر إسلامى. يتجه الإنسان المسلم فى هذه الدورة إلى الله تعالى، طالبا العون على مواجهة التحديات، ويتكاشف فيها الإنسان مع نفسه، محاسباً لها، قبل أن تحاسب، ثم يعود إلى ربه تائباً منيباً.

فإذا الضمير يقظ حى، والنفس صافية، والوجدان دقيق ورقيق، والشعور حساس ومرهف، والصدر سليم ونقى، والقلب طهور وزكى، والخلق سوى، والسلوك رضى والمجتمع كله فى قصد واستقامة، وسلام وألفة، وحب وإيثار،

ومشاركة وجدانية رفيعة، إنها جميعاً إشراقات للصوم، يصل مداها إلى كل بعد، يتغلغل أثرها إلى كل عمل.

وإيمان المسلم بالله سبحانه وتعالى أنه معه، يعلم السر منه والعلانية يمثل رقابة ذاتية عملية، لايحتاج الإنسان معها إلى رقابة المخلوقين.. والصائم بسلوكه تتربى عنده موهبة المراقبة لله تعالى، حيث يخلو بالمفطرات ولا رقيب عليه إلا الله تعالى. قال تعالى فى سورة الحديد ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[**الحديد**:٤].

والمعية هنا حقيقة هائلة، حين يتمثلها القلب، حقيقة مذهلة من جانب، ومؤنسة من جانب آخر.. مذهلة بروعة الجلال، ومؤنسة بظلال القربى.. وهى كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشرى على حقيقتها: أن ترفعه وتطهره، وتدعه مشغولاً بها عن كل أعراض الأرض. كما تدعه فى حذر دائم مع الحياة والتحرج من كل دنس، ومن كل إسفاف.

ففى ظل الإيمان بالله تعالى، وممارسة أوامره، يجد الإنسان نفسه غنياً عن رقابة البشر. سعيداً بمراقبة الله فيسقط من نفسه التحايل والخداع. واتخاذه وسيلة للوصول إلى مأرب شخصى، أو مغنم ذاتى.

والذى يكون فى ضيافة الله، يكون قريباً من الله فى أعماله، وتصوراته، وعواطفه، وفى تعامله مع الكون، وتعامله مع الحياة، وتواجده مع الإنسان.

كلما أوغل المسلم فى الصوم، وأدرك من أنوار الصيام ما أدرك، وانتفع بالآثار تغلغل فى ذاته، وترسب فى وجدانه، الإحساس بهذه المعية: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾.

وتألق الوجدان لهذه المراقبة. كلما نما لديه شعور داخلى بأن هناك فى أعماقه سلطة ذاتية، بدأت فى الوجود، وباشرت على النور العمل، والحكم والتنفيذ.

فالصائم بغاية الصوم التشريعية ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ رقيب عام على نفسه، وحارس عام على ضميره، ومن هذا المنطلق يعتبر الصوم مدرسة السلطة الحيوية،

يتلقى فيها المؤمن أكبر جرعة تطبيقية ، وعملية، للقيادة، ويلقن فيها بصورة سلوكية وواقعية، أعظم منهج للإرادة، والإدارة.

فالصوم له أثره البالغ على نفس المؤمن، يقوم بعملية الطهر الذاتى، والنظافة النفسية، والنقاء الوجدانى، والصقل الفطرى، حيث يضبط حركة النفس، وإعمال الجوارح ومظاهر الخلق والسلوك.

يتعلم المؤمنون فى مدرسة الصوم، كيف يضبطون أنفسهم، ويكبحون جماحهم، وينظمون غرائزهم، ويستعلون على شهواتهم، ويبدلون نزواتهم، ويعدلون وجهتها نحو الكمال.

فإذا بالمسلمين على مدى شهر الصيام، فى سلوك إسلامى رفيع، يأخذ خطاً بيانياً صاعداً، وحداته ألوان الفضيلة، وصور موضوعية للحق.

وإن الصيام دعوة مفتوحة للمؤمنين كافة غنيهم وفقيرهم. حاكم ومحكومهم إلى ضيافة الله . ببطاقة اسمها (التقوى).

وهذه الدعوة السنوية. إن وجدت مناسبتها فى رمضان المبارك بوصفه شهر القرآن. إلا أنها ستبقى نافذة المفعول، تتجدد بالاستعمال عبر الزمان والمكان، لتسحب عطاء هذا الشهر، إلا أشهر العمر كلها، تقربا من الله، ودنوا من رحمته، وإعمالاً لنظافة القلب وطهره.

وسوف لا يجد المسلم كالصيام أمراً يفى بكل هذا، ويعين عليه ويساعد على تطهير النفس، وتنظيف وعائها، والإفادة من عطاء الله، فى الوحى، والكون . . والوصول بالنفس إلى غاية التقوى، وذروة الخشية. ثم تحويلها إلى صورة عملية، ونماذج سلوكية يتردد صداها فى أرجاء المجتمع، وتخلف بصماتها على وجهه، وتعكس أثارها على كل خلية من خلاياه، وكل داعية من دواعيه.

والميزان الذى يفوز به الإنسان، ليكون إنساناً على الحقيقة، هو الميزان الإسلامى الذى ينحصر فى التقوى والتى أشبعها القرآن الكريم ذكراً وترديداً وتصرفاً واشتقاقاً.

وهذا يعطى حقيقة واضحة . . وهى أن كلمة (التقوى) بمفهومها ومدلولها وتصريفاتها. أمراً، ومصدراً، ومفعولاً، واسم فاعل، ومضافة، ومفردة وجمعاً، وفعلاً، واسماً قد اشتملت على كل القيم الهادفة، لصلاح الإنسان، وثمرات التقوى كثيرة، وفوائدها فى الدنيا والآخرة جليلة.

ويوم أن كان المسلمون أتقياء، وعاملين بتعاليم الإسلام، لا تفرقهم الأهواء السياسية، ولا الأحزاب القومية، ولا المذاهب الإنسانية، يومها كانوا قوة لاتضارعها قوة. لقد استطاعوا فى سرعة مدهشة أن ينشروا الإسلام، فى شعوب كانت تائهة، فى عماء الوثنية والجهل. كما تمكنوا من رفع الظلم والتسلط، والاستعباد، الواقع على الشعوب، وإن الأمة الإسلامية تواقة إلى وعى القيم الإسلامية، التى تمكنت فى الماضى من جعل الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

وكم للتقوى من صلات . . إنها تؤلف بين قلوب المؤمنين، وتطبعهم بطابع الإيمان وتقودهم إلى غاية واحدة، وتشيع فى المجتمعات الإسلامية فضائل الإيثار والتراحم، والتعاطف، والتوادد.

ولن تجد أعمق من هذه الروابط فى صنع وحدة الأمة، وتحقيق السعادة والفلاح .

***

لم يعرف البشر، ولن يعرفوا منهجاً أمثل من منهج الإسلام وهو يبصر الناس بمكانهم من ربهم. حيث يبين لهم أن الله ربهم وهم عباده، ومن واجب العبودية أن يعيش المرء فى حجمه، وأن يشعر بمكانه، وأن يدرك طبيعته، فهو مخلوق لربه الخالق. ومخلوق على هذا النحو لإله له الجلال، والكمال، والجمال لابد من أن يشعر نحو ربه بكل الإعظام له، والخشوع إليه، من حيث كونه لذلك أهلاً.

لما تميز به الإنسان على سائر الخلق بالمسئولية والتكاليف. وأنه لم يؤت به إلى هذا الوجود عبثاً قال تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾[**المؤمنون**:١١٥].

إذن خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وأوجده لرسالة ضخمة، ووظيفة حيوية جاء لها مستعداً، ولها مهيئاً. ولهذا جاء الإسلام يستهدف الناس فى منهجية متكاملة، يتلاقى فيها الإنسان مع ربه، ونفسه وبيئته، ومجتمعه وأمته، نلمس ذلك جيداً فى كل مجالات الإسلام فى العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والسلوك، وفى علائق الإنسان بربه، ومجتمعه. تشهد بهذا كل أركان الإسلام وقواعده، من أولها إلى آخرها.

والصيام - هو أحد هذه الأركان والفرائض التى فرضها الله على المسلمين، وأمرهم بها ودعاهم إليها - إنما تتمثل فيه هذه الجوانب، وتستهدف هذه الأهداف، بكل صور القصد، والإحاطة والشمول، وبجميع الأبعاد والأعماق، فى طوايا ومظاهر النفس والفرد، والمجتمع، يلبى هذا الصيام داعيتهم، ويغطى حاجتهم، ويصوغ الحياة والأحياء مع بقية قواعد الإسلام وأركانه، ويعيد تشكيلهما على أساس من الطهر والنقاء.

ولهذا جاء شهر رمضان زاخراً بكل صور العطايا. ففيه نزل القرآن الكريم كتاب الله الخالد، وهديه الجامع، وفيه ليلة القدر التى تهبط فيها الرحمات على الطائعين، ويتجلى الله فيها بالرضى على المحسنين، ويجزل المثوبة للمخلصين.

وفى شهر رمضان كان النصر الرائع والفوز الباهر فى موقعة بدر، حيث دارت المعركة بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل، فرفع الله آية الحق.

وفى شهر رمضان كان الفتح الأكبر لمكة بلد الله الحرام. فطهرت من مظاهر الوثنية ومعالم الضلال، وفى شهر رمضان كانت غزوة تبوك خاتمة الغزوات.

وفى هذا الشهر المبارك تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، وينادى المنادى من قبل الحق تبارك وتعالى: يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر.

وفى شهر رمضان كثير من المنح الجليلة، والمنن العظيمة، فقد روى البيهقى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما. أن رسول الله ﷺ قال: « **أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبى قبلى. أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً. وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من المسك. وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة. وأما الرابعة فإن الله يأمر جنته فيقول لها: استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى. وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعاً. فقال رجل من القوم: أهى ليلة القدر؟ قال: لا . ألم تر إلى العمال يعملون. فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم**».

وفى هذا الشهر يتلقى المسلمون دروساً عالية، فى مبادئ الهداية ودين الحق والتعاون والصدق، والتنافس فى فعل الخير.

وإن شهر اتسم بهذه المعالم الوضاءة جدير بأن يكون شهر التقوى قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾.

فالإسلام يدعونا فى شهر رمضان أن نمنح التقوى حقها الواجب. نسارع إلى التقوى ونستبقها. ونجعلها زادنا إلى الله، وعدتنا فى طريقه. نستلهم منها يقظة الحس، وحيوية النفس، وصحوة الضمير، واستواء الخلق، واستقامة السلوك.

ولايخفى أن الصوم هو المعاناة العملية لتوطين النفس ورياضتها على تربية النزعة الإيمانية فى الفرد والمجتمع، وهذه التربية لابد فيها من كشف حساب مع النفس فى دورة تدريبية أمدها شهر إسلامى هو شهر رمضان.

يتجه الإنسان فى هذه الدورة التدريبية إلى الله. طالبا العون على مواجهة التحديات، ويتكاشف فيها الإنسان مع نفسه، محاسباً لها قبل أن تحاسب، ثم يعود إلى ربه تائباً منيباً. فإذا الضمير يقظ حى، والنفس شفافة، وصافية، والوجدان دقيق ورقيق، والصدر سليم ونقى، والقلب طهور وزكى، والخلق سوى، والسلوك رضى، والمجتمع كله فى قصد واستقامة وسلام وألفة. إنها جميعاً إشراقات للصوم يصل مداها إلى كل بعد، ويتغلغل أثرها فى كل عمل.

إن صوم رمضان دعوة مفتوحة للمؤمنين كافة ببطاقة اسمها التقوى، وهذه الدعوة السنوية إن وجدت مناسبتها فى رمضان المبارك. إلا أنها ستبقى نافذه المفعول تتجدد بالاستعمال عبر الزمان والمكان. لتسحب عطاء هذا الشهر إلى أشهر العمر كلها تقرباً من الله، ودنواً من رحمته.

من هنا يصبح المسلم ويمسى للعبادة أثرها فى حياته. بها يقف فى المجتمع على موقعه. متفاعلاً بالتنمية والإثراء.

ولايخفى أن للعبادة شأن كبير يبدو جلياً واضحاً فيما ينعكس من آثار على حنايا النفس، والقلب، والعقل، والفكر - عمقاً وبعداً - آخذاً امتداده على صفحة الزمن، ماضيه وحاضره ومستقبله.

وما أخذت العبادة امتدادها على هذا النحو المشرف. إلا كان صاحبها مشعل إشعاع، ومركز خير، وموئل عز.

***

صوم رمضان مدرسة

لقد كان شهر رمضان شهراً فاضلاً زاخراً بصنوف الطاعات، وفنون العبادة التى تلبى حاجة الإنسان، وداعيته، وتغطى شئون دنياه وآخرته، وتعمر نهاره، وتغمر ليله، وتوقظ نفسه، وتحفز همته، وتجدد نشاطه، وتشد علاقته نحو ربه، ودينه، ومجتمعه وأمته. .

كانت رحلة الصائم طول شهر رمضان رحلة بعيدة فى بعث الروح، وتهذيب الخلق، وتعويد الصبر، وتعليم القناعة، والرضا، وتمرين المسلم على المنافسة فى فعل الخيرات، والطاعات، وتدريبه على الإكثار من العبادات. حتى خرج من شهر رمضان عبداً يحظى برعاية الله، ويسعد بمحبته ورضوانه.

روى البخارى : أن الله تبارك وتعالى يقول فى الحديث القدسى «**ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه.. فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بى لأعيذنه**».

إن شهر رمضان كان موسماً لزيادة التقوى، والخشوع، والخشية، وصحوة الضمير، ويقظة النفس، ومراقبة الله. من وفق إليه، وأعطى خيره فقد أعطى الخير كله، ومن خُذل فيه وحُرم خيره فقد حرم.

والمسلم الذى شحن جنانه بالطاعات، واستمد من الصيام والقيام طاقة دفع، وبنى كيانه الشخصى، والسلوكى والاجتماعى على وحى القرآن وهداه. إن هو إلا إنسان سوى، قوى الإرادة، صلب العزيمة، رابط الجأش. قد كف جوارحه، وعزل عن الناس شره، وسلم الناس من لسانه ويده.

ولقد عاش المسلمون الأولون فى جوار رمضان أحسن جوار. فأحسنوا وأكرموا جواره، واقتبسوا من أنواره. يعملون الصالحات، ويجاهدون فى سبيل الله. وإذا خرج عنهم شهر الصيام ظلوا على طاعة الله، وداوموا على عبادته،

لأن رمضان أثر فى أعماق قلوبهم، وتفاعل فى نفوسهم. وقد تعودت جوارحهم عمل الصالحات، وفعل الخيرات. ولذلك قال العلماء: علامة قبول الصوم عند الله: أن يكون العبد بعد الصوم، وبعد خروج رمضان أهدى حالاً، وأحسن قيلا، وأكثر عبادة وتقوى.

فإن طاعة الله فى رمضان كطاعته فى غير رمضان، وعبادته فى يوم الصوم كعبادته فى غير أيام الصوم. لأنك تعبد الله الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، والباقى على الدوام.

فطوبى لعبد ذاق حلاوة العبادة وطعم طعم الإيمان، وتمتع بطاعة الرحمن، فتمسك بحبل التقوى، وظل مقبلاً على الطاعة. قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: للطاعة ضياء فى الوجه، ونور فى القلب، ومحبة فى قلوب الخلق، وقرب من الرب، وسعة فى الرزق، وللمعصية سواد فى الوجه، وظلمة فى القلب، وبغض فى قلوب الخلق، وبعد عن الرب، وضيق فى الرزق.

قال تعالى فى سورة طه: ﴿ **إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ** ﴾[طه: ٧٤-٧٦]

وقال تعالى فى سورة الطلاق: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا** ﴾[الطلاق: ١٠، ١١].

أخى القارئ أن صوم رمضان المبارك نعمة كبرى أنعم الله سبحانه وتعالى بها على المؤمنين. وليس هناك من جميل أسدى إلى البشر بأعظم من جميل الله، ولا نعمة أبر بالمؤمنين من نعمة الله تعالى سيما فيما يمس وجود النفس وكيانها وذاتها، وفيما يكون به عونها على هواجسها، وحكمة على تصرفاتها، وفيما يكون به صقلها فى مقام الحق، وثباتها على المبدأ، ورسوخ قدمها فى مجال الفضيلة. لا يعصف بها إعصار، ولا تدمدمها غفلة.

إن صوم شهر رمضان مدرسة تخرج فيها رجال ونساء قاوموا فى أنفسهم كل شهوة، وفى مجتمعاتهم كل انحراف. . فسعدت بهم الحياة، ولقنوها دروساً حية فى النقاء والطهر، ومراقبة الله الكبير المتعال.

هل جاءك نبأ الأعرابى الذى كان يرعى غنماً فى البادية وصاحبها غائباً فجاءه من يريد شراء واحدة. فلم يوافق الأعرابى، فقال الشارى: إن صاحب الغنم غائب. وسأدفع لك الثمن. فيرد الأعرابى: إذا كان صاحب الغنم غائباً فإن الله حاضر لا يغيب.

نسأل الله أن يفقهنا فى ديننا، وأن يبصرنا به، وأن يضبط على هديه قلوبنا، وجوارحنا، وأخلاقنا، وسلوكنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين.

* * *

شهر رمضان والقـرآن

لقد كان شهر رمضان ظرفاً لنزول القرآن الكريم، الذى شرف الله به الخلق، وغدا أعظم منهج خاتم عرفته الدنيا، وأقوم طريق، جمع الله فيه أطراف الخير، وجوهر الحق، وخلاصة ما يتطلع إليه البشر، فى مجالات العقيدة، والشريعة والخلق، والسلوك، والمبادئ، والمثل، وغير ذلك مما لبى ويلبى به داعية الإنسانية وحاجتها أمثل تلبية وإلى أن تقوم الساعة.

جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهدى إلى صراط الحق. قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[**المائدة**:١٥، ١٦].

وقال تعالى فى سورة فصلت:﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[**فصلت**:٣]، ومن الطبيعى أن يكون هذا الكتاب دائماً ينبوع العطاء الذى لا ينتهى له مدى، ولا ينضب له معين. وما على المجتمعات الإسلامية التى آمنت بالقرآن إلا أن تفتح القلب لآيات القرآن، حتى تنفض عنها غبار السهو والغفلة، ويعود بها الزمن إلى سابق مجدها، غالبة غير مغلوبة، ومنتصرة غير مهزومة، ومؤثرة فى كل مناحى الحياة.

وإن كتاباً هذا شأنه لجدير أن يضعه الإنسان بين عينيه، وإن شهر رمضان هو شهر القرآن. وفى شهر رمضان كان جبريل عليه السلام يدارس النبى ﷺ القرآن. ففى صحيح البخارى، ومسلم. قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يتخذون من رمضان موسماً للعبادة وقراءة القرآن، وموسماً للخيرات والصدقات، والتعاون على البر والتقوى.

والمؤمن الصائم حينما ينشغل بقراءة القرآن وسماعه ومدارسته. فإنما يصدر فى ذلك عن هدى من هدى النبوة، وسنة من سنن السلف الصالح.

وتعاهد القرآن بالتلاوة والسماع واجب على كل مسلم ومسلمة فى كل وقت، بيد أنه فى رمضان أولى، وأن المؤمن الذى ينكب على القرآن الكريم يتلوه، لتنثال على خاطر منه دلالات وطيوف، تملأ النفس روعة وجلالاً.

ولاعجب إن كانت السعادة لا تنال إلا بالاهتداء بهديه، وإن كان الشفاء لأمراض النفوس، وأدواء المجتمع، لا يتم إلا به.

قال تعالى فى سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩].

وقال تعالى فى سورة الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء:٨٢]

هذا القرآن الذى نزل فى شهر رمضان. هو الذى حول مجرى التاريخ، وصلحت به الدنيا، وأقام أمة كانت مضرب الأمثال فى الإيمان، والإخاء، والعدل، والوفاء.

كتاب لا تنفد عجائبه، ولا تنقضى، ولا تخلق عن كثرة الترداد، ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة، ولا على الترداد إلا جدة وطرفة، ولايزال غضا طرياً كما نزل، وكلما تقدمت العلوم والمعارف تكشف للناس منه العجب العجاب. وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣].

إن القرآن الكريم روح المسلمين الذى يشع فيهم الكينونة والوجود، وقلبهم الذى ينبض بالحياة، وحركتهم التى تدفع وتدفق، وعقلهم الذى به تتلألأ شهب المنى، وتدر أثداء الأمل.

وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحى لاوجود لشخصيته، ولاحياة بغير الروح والقلب والعقل. فإن المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل. لاكيان لهم،

ولاحياة، ولا شخصية بغير القرآن. فهو لهم الروح، والعقل، والقلب، وهم لهم الضياء، والشفاء والنور.

قال تعالى فى سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥].

إن أمتنا الإسلامية فى شبابها، ورجالها، ونسائها، أحوج ما تكون إلى مدارسة القرآن الكريم، وتدبر آياته، وما جاء فيه من قصص ومواعظ، وحكم، وأحكام.

وإن المجتمعات تدعو إلى حفظه، وتلاوته، وتعمل على ذيوعه، ونشره جديرة بكل خير فما أحرانا أن نتسابق فى مدارسة القرآن الكريم، ونتنافس فى حفظه وتلاوته، ونعمل بما فيه لنصل إلى خير ما قدر لنا فى الحياة.

***

فضل الدعاء فى شهر الصيام

عندما ذكر الحق جل وعز آيات الصيام فى سورة البقرة فى الآيات (١٨٣-١٨٧) وهى خمس آيات كريمات، فإنه أورد سبحانه آية الدعاء فى سياق آيات الصيام فى الآية(١٨٦) وهى قوله سبحانه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴿١٨٦﴾ ﴾ ولا يخفى علينا دلالة ذلك؛ فالصائم قريب من الله سبحانه، ولا تُرد دعوته فهو أحد الثلاثة الذين تُقبل دعوتهم، وشعوره بالرهبة والرجاء والخشية يدفعه إلى الإلحاح فى الدعاء، وإلى اغتنام أبواب الخير المفتوحة فى هذا الشهر الفضيل لكى يقرعها، ويداوم الطرق عليها.

ويتأكد لنا أهمية الدعاء من كثرة وروده فى القرآن الكريم فقد ورد فى الآية (٢٠٩) آية مقاربة لألفاظ (العبادة) التى وردت فى (٢٧١)آية؛ تأكيداً لكون الدعاء هو مخ العبادة، أو هو العبادة ذاتها.

والمتأمل فى الأدبيات الإسلامية يرى أن رسول الله ﷺ ذكر «**أن مما فضلت به الأمة أن الله تعالى كان إذا بعث نبياً قال له: ادعنى استجب لك، وقال لهذه الأمة: أدعونى استجب لكم**».

وهى الآية الكريمة فى سورة غافر (٦٠) ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾، وتضيف هذه الآية الكريمة معنى قوياً جداً فى أن عدم الدعاء هو استكبار على الله تعالى، وتعبيراً عن ضعف الإيمان وعن عدم إدراك للجوء إلى الخالق سبحانه، وأنه هو القريب المجيب الذى لا يرد سائلاً، يقول الرسول الكريم ﷺ« **إن ربكم حيي كريم يستحى من عبده أن يرفع يديه إليه فيردهما خائبتين**»، وكان صحابة رسول الله ﷺ يدركون أهمية النجوى والابتهال والدعاء فكانوا يرفعون أصواتهم بالدعاء فى كل حين فقال لهم الرسول الكريم ﷺ : « **أيها الناس أربعوا على أنفسكم أنكم**

لستم تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

وتأكيداً لما تقدم نجد النداء القرآنى فى سورة الأعراف ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف:٥٥]. والآية الكريمة تؤكد أن خير الذكر هو الخفى، وأن أفضل الدعاء ما كان تضرعاً وخفاءً؛ لا جهراً ورياءً.

لكن ما علاقة الأمر بالدعاء بالاعتداء فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ نجد الإجابة فى قوله ﷺ: «سيكون قوم يعتدون فى الدعاء» والاعتداء فى الدعاء يكون بالجهر الكثير به، وأن يدعو المرء أن يكون فى منزلة نبى مثلاً، أو يدعو بأمر محال، أو يشترط على الله تعالى كأن يقول «اللهم اغفر لى إن شئت» أو أن يقوم «اللهم إنى اسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها»، وهذا كله اعتداء فى الدعاء.

ويتكرر النداء القرآنى فى سورة الأعراف فى الآية التالية (٥٦) فى قوله سبحانه﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فمن خصائص الدعاء إذن أنه عندما يعبر عن خوف المسلم ورجائه وطمعه فى رحمة الله أن يدخله فى دائرة الإحسان والمحسنين فهو يرى الله معه فى كل حالة؛ ولذا لا يجد ملاذاً سواه سبحانه وتعالى.

فدعاء الصائم تأكيد لمظاهر العبودية للّه تعالى، وتقربه إلى الخالق، وينقله من قدراته الضعيفة إلى قدرات الحق سبحانه التى ليس لها قيود ولا حدود، هو إذن فعل ما بوسعه وتوقفت الأسباب عند ذلك، ولم يجد الحل إلا فى رفع أكف الضراعة إلى المولى سبحانه فلا ييأس ولاتذهب نفسه حسرات؛ فإحساس العبد بعجزه أمام قدرات الله سبحانه دليل على قوة إيمانه وصدف يقينه فمهما ضاقت السبل وتعاظمت الأزمات، وتكاثرت المحن والمصائب والتحديات فالمسلم مطمئن إلى قدرة الله فى سورة النمل (٦٢) ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وإذا أعدنا التأمل فى قوله تعالى﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦].

فقد ورد فى سياق آيات الصيام، وهذا أمر له دلالته فى كون الصائم مستجاب الدعوة كما فى الحديث. وأن دعائم الصائم يفتح له أبواب الرحمات، ولأن الصوم خوف ورهبة ورجاء وخشية وإخلاص فهذه المعانى كلها تحقق بالدعاء؛ الذى يتأكد به ارتباط الصائم بخالقه سبحانه وحرصه على المناجاة والهروع إليه سبحانه فى السراء والضراء، فمن رزقه الله تعالى الدعاء فقد أنعم عليه بالإجابة وهذا المعنى موجود فى قوله سبحانه:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠] فالمسلم منه الدعاء، وعلى الله الإجابة.

ولأن الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض فإننا نجد الدعاء مانعاً من مصائب كثيرة كما جاء فى الحديث «لايرد القدر إلا الدعاء» بل نجد إشارة قرآنية إلى أن ميزان الأمة وقوتها، ودخولها فى دائرة النور الإلهى، وفى رحمة الله، وامتناع البلاء عنها لا يكون إلا بالدعاء؛ فيقول الحق جل ذكره فى آخر سورة الفرقان (٧٧) ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، وقد أدرك أنبياء الله حقيقة الدعاء وأهميته؛ فزكريا عليه السلام يدعو ربه ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾[مريم:٣]، وأيوب عليه السلام يجأر إلى خالقه ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ونوح عليه السلام يدعو مولاه سبحانه ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾[القمر:١٠]، وأنبياء الله جميعاً يدعون الله تعالى بكيفيات محددة وجامعة لمعانى الرغبة والرهبة.والخشوع يقول سبحانه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

ولم يكن غريباً أن الله تعالى أجاب دعاءهم جميعاً فاستجاب سبحانه لأيوب عليه سلام ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[الأنبياء:٨٤] ويستجيب الحق سبحانه ليونس عليه السلام الذى ذهب مغاضباً ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء:٨٨]. . كما استجاب سبحانه

لزكريا عليه السلام ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾[الأنبياء: ٩٠] ولم تكد دعوات نوح عليه السلام تصعد إلى العليم القدير حتى استجاب الله له ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا.. ﴾[القمر: ١١، ١٢].

ولايغيب عن القارئ المسلم للقرآن الكريم ارتباط الأمر بالدعاء بضرورة الإخلاص فيه نجد هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[الأعراف: ٢٩]. وفى قوله سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر: ٦٥]. هذا الإخلاص يجعل الدعاء قوياً صادراً من قلب ملهوف، ومعبراً عن يقين صادق بأنه لاملجأ من الله إلا إليه، وإدراكاً لحقيقة مهمة وهى قوله ﷺ « **من لم يدع الله عز وجل يغضب عليه**»، وقوله: « **ليس شىء أكرم على الله تعالى من الدعاء** ».

والمسلم الصائم عليه أن يتعرض لنفحات الله تعالى فى هذه الأيام المباركة، فلعل دعوة من دعواته توافق رحمة؛ فيسعد بها لايخسر بعدها أبداً، وعندما يجد نفسه قريباً من الله تعالى عليه أن يغتنم ذلك بقوله ﷺ « **من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئاً أحب إليه من العافية**».

وعلى المرء المسلم ألا يستكثر مطالبه بجوار كرم الله ففى الحديث القدسى «**لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكى شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا وضع فى البحر**»، وفى الحديث القدسى الآخر يتأكد الأمر ذاته « **يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى إلا غفرت لك ما كان منك ولا أبالى**».

وبعد أن تحدثنا عن العلاقة بين الصيام والدعاء وبين الإيمان والدعاء وبين الإخلاص والدعاء فإننا نسأل أنفسنا: ما شأن المسلم عندما يتعجل الدعاء؟

دائماً نقرر أن المسلم مدمن القرع لأبواب رحمة الله، وهو بين الرجاء واليقين، ويدرك أن رحمة الله قريبة منه، ولذا عليه أن يصبر وينتظر فى ترقب نتائج الدعاء، وهذا المعنى نجده فى قوله ﷺ «**يستجاب لأحدكم ما لم يُعجل:**

يقول: **لقد دعوت ربى فلم يستجب لى»** على أن من الأمور المهمة فى استجابة الدعاء أن يكون صالحاً يقول ﷺ : « **ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم** » فقال رجل من القوم: إذا نكثر، قال: « **اللهم أكثر** » نعم فالله تعالى أكثر إحساناً وكرماً وعطاء مما تسألون.

وكان رسول الله ﷺ لا يتعجل بإجابة الدعاء، وكان فى إكثاره من الدعاء، وحثه لصحابته الكرام على ذلك، وتعليمهم دعوات معينة القدوة الحسنة للأمة، فكان يسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى، ويدعو الله أن يثبت قلبه (اللهم مصرف القلوب صرف قلبى على طاعتك)، ويدعوه بجوامع الكلم (اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك)، (اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء)، (اللهم الهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى)، (اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار).

وإذا لم يجد المسلم قدرة لديه على حفظ هذه الأدعية فليكن جماع ذلك كله هو قوله ﷺ الذى علمنا إياه «**اللهم إنى اسألك من خير ما سألك منه نبينا محمد ﷺ ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبينا محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

ومن الأدعية القوية دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **اللهم إنى ضعيف فقونى، اللهم أنى غليظ فلينى، اللهم إنى بخيل فسخنى** ».

ومما يعجل بإجابة الدعاء كثرة التضرع فى الطلب، والإلحاح فى الرجاء، وبداية الدعاء بالثناء على الحق سبحانه (ياذا الجلال والإكرام) (اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر المبارك الأحب إليك الذى إذا دُعيت به أُجبت، وإذا سُئلت به أعطيت» «يا من لاتراه العيون، ولاتخالطه الظنون، ولايصفه الواصفون، ولاتغيره الحوادث، ولايخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار».

ويُستحب رفع اليد بالدعاء، ومسح الوجه به؛ يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه «كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه».

ويستحب الاستغفار عند الدعاء والتأكيد على دعوات معينة ، فعن أنس رضى الله عنه «كان رسول الله ﷺ لو دعا بمائة دعوة افتتحها وختمها وتوسطها ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[البقرة:١٠٢] .

ومن آدابه كذلك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فى أوله لقوله ﷺ: « **إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصلى علىّ ثم ادعه** »، ويقول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه « إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدح والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصلى على النبى ﷺ ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن ينجح ».

والأمة اليوم فى حاجة إلى عون الله تعالى لما يحاق بها من مؤامرات، ولما يلحق بالمستضعفين من المسلمين فى بلاد العالم من مهانة وظلم وقتل وعبث بمقدراتهم، وربما يجد كثير من المسلمين العون المادى لإنقاذ هؤلاء أو مساعدتهم، وعندئذ لايبقى لنا ولهم سوى الدعاء فى جوف الليل لهؤلاء *أن ينصرهم الله، ويذهب عنهم الغم والكرب. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.*

* * *

المعانى الإيمانية فى الصوم

إن للصوم معانى إيجابية عظيمة، فالصوم فى الإسلام لا يكفى فيه هذا المظهر السلبى المادى، الذى يقوم على اجتناب المفطرات لأى باعث كان، وإنما هو قبل كل شىء عمل روحى إيجابى، فهو اختبار روحى وتجربة خلقية، وهو سبيل موصل إلى تقوى الله تعالى، والمنزلة التى يبلغها الصائم بين مراتب المتقين هى أعلى المراتب وأسماها.

وأما أن منزلة الصيام هى أسمى مراتب التقوى، وأكرمها عند الله تعالى فلأن فى سائر العبادات جوانب؛ تحببها إلى النفوس الكريمة، وتقربها من مقتضى الطباع السليمة، ففى الصلاة مثلاً حلاوة المناجاة، وفى الزكاة إريحية الجود والكرم، وفى الجهاد عزة وحمية وإباء للضيم.. والصيام ليس فيه معاونة من الطبع، بل فيه على العكس معاندته ومقاومته، فكان قرب الأعمال إلى الخلوص من الشوائب، ولعله من أجل ذلك كانت الأعمال كلها يثاب عليها بأضعاف معلومة، من العشرة إلى السبعمائة ضعف، إلا الصوم فإن مضاعفة جزائه لا تدخل تحت حصر ولا حد ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[**الزمر**:١٠].

والجوانب الإيمانية فى الصوم متعددة:

١ - فهو يعود الإنسان الخشية من ربه عز وجل فى السر والعلن إذ أن الصائم لا رقيب عليه إلا ربه.

٢ - وهو يكسر حدة الشهوة، ويجعل النفس مصرفة لشهواتها بحسب الشرع، فالصوم له وجاء.

٣ - أنه يربى فى المسلم القدرة على الصبر والمجاهدة ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[**العنكبوت**:٦٩].

إن الصيام سر بين العبد وربه، لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة وإمساك مخصوص. وفى التقرب بترك الشهوات لله تعالى فوائد كثيرة منها كسر

النفس فإن الشبع والرى ومباشرة النساء كما يقول العلامة ابن حجر تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة، ولما كان الصيام يضيق مجارى الدم التى هى مجارى الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، كما ثبت فى الصحيحين فإنه بالصوم تنكسر سورة القوة الشهوية والغضبية، وتسكن وساوس الشيطان، ومن هنا فهو قاطع عن شهوة النكاح المستلزمة لقطعه عن بقية الشهوات ولا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله من الكذب والغيبة وسائر الظلم والتعدى على الغير فى نفسه أو ماله أو عرضه.. ولذا جاء فى الحديث «**من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله تعالى حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**».

والمعنى الإيمانى المتكامل للصيام يستوجب من المسلم تكامل الطاعات، وذلك بتهذيب الجوارح وتوطينها على البعد من المحرمات ولذا يقول جابر رضى الله عنه « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك الكذب والمحارم، ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء».

وفى هذا الإطار نؤكد أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباح إنما يتم بعد التقرب بترك المحرم، وإلا كان كمن يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل مما نجده فى قوله ﷺ « **رب صائم حظه من صومه الجوع والعطش.. ورب قائم حظه من قيامه السهر** ».

إن الله كتب علينا الصيام تنقية لنا وتطهيراً، فهو شعبة عظيمة من شعب الإيمان والتقوى والمراقبة، وقربة إلى الله تعالى ووسيلة لتقوية سلطان الإيمان، ولهذا نودى المؤمنون الصائمون بلفظ شريف هو الإيمان ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾[البقرة :١٨٣] .

اللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين، واجعلنا على الصراط من العابرين، وعلى حوض نبيك بين الواردين، ولكأسه من الشاربين، واعطنا صحائفنا باليمين، واجعلنا من أهل شفاعة نبيك الأمين.

* * *

كيفية تحصيل الخير فى رمضان

كيف يستطيع المسلم تحصيل الخير فى رمضان؟

إن شهر رمضان فيه خير كثير، وفيوضات إلهية، ورحمات ربانية، وهبات كثيرة ومتنوعة، وهو مجال للتسابق إلى الخيرات، والمسارعة إلى أداء الرحمات.

ولن ينال خير رمضان إلا من قدر لله قدره، وعرف لرمضان حرمته، فصان نفسه من سفاسف الأمور، وارتفع بها إلى أعلا درجات السمو ومنازل الملائكة يقول رسول الله ﷺ: « **أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه، فيُنزل الرحمة، ويُحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، وينظر فيه إلى تنافسكم فى الخير، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن الشقى من حُرم فيه رحمة الله تعالى**».

والصائم الذى يصل لهذه المرتبة، والذى يباهى به الله ملائكته ويرضى عنه، يتحقق له ذلك من خلال أمرين:

أولاً : أن يكون فى ذلك الشهر ناكراً لذاته، غير مهتم برغباته، ويكبح جماح نفسه، ويمنعها عن أى شهوة، لها أو هوى، قال تعالى﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾[**النازعات**: ٤٠، ٤١].

ثانياً : أن يجعل حياته كلها فى هذا الشهر موقوفة للّه رب العالمين، فلا يفعل شيئاً إلا لأن الله تعالى يحبه وقد أمر به، ويمتنع عن أى شىء يبغضه وقد نهى عنه، وذلك كما أمر رب العزة تبارك وتعالى﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[**الأنعام**: ١٦٢، ١٦٣]، وتتحقق شمولية كلمة (محياى) التى يكون المسلم ملكاً للّه تعالى من خلال تحصيل الخير فى رمضان فيكون إما عاملاً مجيداً لعمله، وإما مؤدياً لفرض الله تعالى وإما مؤدياً لواجب عليه كزيارة مريض أو تشييع

جنازة، وإما أن يكون ذاكراً للّه تعالى، أو تالياً لآياته، أو مستمعاً إليها، وهذه الأحوال تفضل بعضها فيما يلى:

١ - ينبغى أن ينشغل الصائم بذكر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الأحزاب:٤٠-٤١]، وشهر رمضان يتعاظم فيه الذكر ويتضاعف فيه فضله يقول ﷺ «**ما عمل آدمى قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل**» وكفى بالذاكرين فضلا أن الله تعالى يذكرهم ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[البقرة:١٥٢].

وثمة أمور سهلة ميسورة ينبغى أن يداوم عليها المسلم مثل التسبيح الكثير فى رمضان كما قال ﷺ « **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** »، وكذلك المداومة على الاستغفار فى أوقات رمضان قال ﷺ: « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب**»، وبعامة فقد قال ﷺ «**ذاكر الله فى رمضان مغفور له**».

٢ - تلاوة القرآن الكريم من أوجب الواجبات فى هذا الشهر الفضيل الذى فيه أنزلت آياته على قلب النبى الأعظم ﷺ، فالقرآن الكريم هو خير جليس للصائم، فالصائم الذى ينصهر فى بوتقة الصيام قلباً وروحاً وعاطفة هو أصلح الناس لتلقى أسرار القرآن واستيعاب أنواره؛ لأن جهازه الداخلى قد أصبح بالصوم آية فى الوضاءة والإشراق فإذا انصبت فيه أمواج الهداية القرآنية إنما تنصب فى مستودع صالح للفيض والتحلى.

وفى رمضان من المهم أن تغمر قلوبنا وبيوتنا بالقرآن الكريم فى شهر رمضان يقول ﷺ «**إن البيت الذى يُقرأ فيه القرآن يكثر خيره، والبيت الذى لايقرأ فيه القرآن يقل خيره**».

ومن أبواب الخير فى رمضان قيام ليله يقول ﷺ :« **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه** »، وقيام الليل شرف للمؤمن وكرامة له فى

جميع الأحوال لكنه فى رمضان أشد وأوجب ففى حديث الشفاعة، ويقول القرآن «منعته النوم فشفعنى فيه قال: فيشفعان أى الصيام والقرآن».

وفيه فضل قيام الليل نقرأ قوله ﷺ «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، مكفرة للسيئات». ويتحقق هذا بكثرة الوقوف بين يدى الله ومناجاته فى الظُلَم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة:١٦] ويتحقق هذا بكثرة الخير فى رمضان من إطعام الطعام وكثرة الصدقات وإفطار الصائم يقول ﷺ : « أفضل الصدقة صدقة فى رمضان» ويقول « من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن يُنقص من أجر الصائم شىء » وزاد « وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه ».

ومن أبواب الخير فى رمضان الاعتمار فيه لمن قدر على ذلك يقول ﷺ: «ان عمرة فى رمضان حجة أو حجة معى»، ومعنى هذا أن للعمرة فى رمضان ثواباً عظيما، لكنها لا تسقط فريضة الحج.

ونختم بقوله «إن فى الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، قالوا: لمن هى يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

اللهم يا عالم الخفيات، ويا دافع البليات، ويا كاشف الكربات، ويامجيب الدعوات، ارفع لنا بصيام شهر رمضان عندك الدرجات، وانفعنا بما صرفت فى كتابك من الآيات، وكفر بتلاوته عنا السيئات وضاعف لنا الحسنات.

***

الصوم وتقوى القلوب

في أول آية قرآنية نزلت بفريضة الصيام نقرأ قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[البقرة:١٨٣]، وبيان هدف الصيام واضح من الآية الكريمة وهو محاولة الصائم أن يرقى إلى درجة التقوى، فهدف الصيام يتحقيق بتوجيه الصائم قلبه بالإخلاص وبالصدق، ولعقله بالذكر وبالفكر، ولقوله وعمله بالسداد وبالرشاد، إلى الله وحده دون اغترار بصيامه ولا زهواً ومباهاة كل ذلك من الرجاء الصادق والدعاء الدائم أن ينعم الكريم بالرحمة والقبول.

فالاتقاء بمعناه المطلق موجود في الصيام الصحيح المشار إليه في قوله ﷺ: «**الصوم أو الصيام جُنة**» وفي حديث آخر «**الصيام جنة وهو حصن من حصون المؤمن**» فالصيام اتقاء مطلق عام بدون تقييد ولا تخصيص.

ثم تتوارد الأحاديث النبوية في تفضيل ما سلف من إطلاق وتعميم فأوضحت أن «**الصيام من جُنَّة من النار**» في رواية النسائي، وأن «**الصوم جنة من عذاب الله**»، في رواية البيهقي وأن «**الصوم جنة يستجن بها العبد من النار**» كما في رواية الطبراني.

وتقوى القلوب متحققة في الصيام من عدة وجوه، فالصوم تعظيم لشعائر الله ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[الحج:٣٢]. كما أنه يخلو من الرياء، وهذا أما أكدت عليه عدة أحاديث قدسية «**الصيام لى وأنا أجزى به**» وفي حديث نبوي «**الصيام لا رياء فيه**»، قال تعالى «**هو لي، وأنا أجزى به، يدع طعامه وشرابه من أجلي**».

هكذا يضحي الصائم المسلم بطعامه وشرابه وشهواته صابراً محتسباً لا يرجو إلا الله تعالى﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[الكهف:١١٠]، وهذا الرجاء لله تعالى وابتغاء رضوانه وخشيته في السر

والعلن هو جوهر الارتقاء بالنفس، وإذكاء الإرادة، والتسامى بالروح إلى الدرجات العلى.

كما أن الالتزام بأوامر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه هو تحقيق للمراقبة ولإرضائه سبحانه وعدم إغضابه وبذلك تكون متق فى جميع أحوالك، والصوم يقوى لديك ذلك، ومادمت متقياً فاعلم أن الله يحبك ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وما دام الله يحبك فلن يدعك للنفس والشيطان والهوى وحدك وإنما سيكون معك ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وكى يبلغ المسلم الصائم مرتبة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ عليه أن يكون محاذراً ومراقباً فقد سأل الفاروق عمر رضى الله عنه أبى بن كعب عن التقوى. فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: ما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت. قال: فذاك التقوى.

وهذا تفسير عملى يعطى فكرة متكاملة عن التقوى كما يعطى الوسيلة إليها فهى حساسية فى الضمير، وصفاء فى الشعور، وشفافية فى النفس ومراقبة دائمة لله تعالى، وحذر من نكاله وعقوبته، وتجنب للمعاصى والآثام، وكما أن للطريق أشواكاً ضارة تؤذى من تعرض لها، ولم يشمر ثوبه منها فكذلك طريق الإيمان تنبت على جنباته الذنوب والآثام، وتتوزع الرغائب والشهوات والمطامع والمطامح، كما تنبت على هذا الطريق مطالب المال والجاه والشهرة ومظاهر العظمة والسلطة ومغريات الأعراض التافهة، وكلها تعترض طريق السالكين إلى ربهم سبيلاً، وهى المقصودة بقوله ﷺ «حُفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»، فطريق الجنة يحتاج إلى جهاد ومثابرة كما يحتاج إلى توق وتشمير، حتى تنجو من أخطاره، وتسلم من أضراره.

أما طريق النار فكله شهوات وملذات ومطامع، فالاستسلام للشهوات يضع المرء فى أشواك لا يستطيع عنها فكاكاً.

فالصوم كما أنه سكون للشهوة واختفاء الصراع فى داخل الصائم وانعكاس ذلك على الجوارح، فما يؤذى أحداً بيدٍ أو لسان تصبح علاقاته بالناس علاقات ود

وإخاء لا تباغض وجفاء. فالتقوى بهذا المفهوم الأوسع تؤلف بين قلوب المؤمنين وتطبعهم بطابع الإيمان وتقودهم إلى غاية واحدة وتُشيع فى المجتمع فضائل الإيثار والتراحم والتعاطف والعدالة، ولن تجد أعمق من هذه الروابط فى تقوية بناء الأمة الإسلامية، كل هذا ليتحقق قوله تعالى ﴿ **لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ وهكذا خاطب الله عبادة المتقين ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[**الأعراف**:٩٦].

إن الإيمان بالله وتقواه ليؤهلان ليفيض من بركات السماء والأرض، وعداً من الله ومن أوفى بعهده من الله، والحياة التى تسير متناسقة متوازية تتحرر من الهوى والطغيان البشرى، وتسير سيرة صالحة فإنها تستحق مدد الله وتستحق رضاه، وتعمها البركة والخير.

والبركات التى يمد الله بها الذين يؤمنون، والذين يتقون فى توكيد ويقين تصور الفيض الهابط من كل مكان إنها البركات بكل أنواعها وأشكالها، والبركة قد تكون من القليل إذا أحست الانتفاع به، وكان من الصلاح والأمن والرضى والارتياح، إنها بركات فى الأشياء، وفى النفوس وفى المشاعر، وفى طيبات الحياة.

اللهم اجعلنا من المعظمين لحرماتك، الفائزين بهباتك، الوارثين لجناتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان

إن سيرة النبى ﷺ عطرة فواحة بالنفحات فى كل الأمكنة والأزمنة فقد كان ﷺ يبدأ الشهر الفضيل بالدعاء الصالح، فقد كان إذا رأى هلال رمضان قال: « **اللهم اجعله هلال رشد وخير. آمنت بالذى خلقك**»، يقولها ثلاث مرات ثم يقول: «**الحمد لله الذى ذهب بشهر شعبان وأتى برمضان**».

وفى باقى الشهر كان النبى ﷺ أجود الناس كما ورد فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وخرّج الإمام أحمد بزيادة فى آخر، وهى: «**لا يُسأل عن شىء إلا أعطاه** ».

وكان جوده ﷺ بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى فى إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل الطرق من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم. فقد كان ﷺ كما دلت الأحاديث يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة.

وفى تضاعف جوده ﷺ فى شهر رمضان فوائد كثيرة: منها شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه، وفى الترمذى عن أنس مرفوعاً «**أفضل الصدقة صدقة فى رمضان**»، ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم، فيستوجب المعين لهم. ولذا فالجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة عنها، خصوصاً إذا ضم إلى ذلك قيام الليل.

فالصيام والقيام والصدقة تأخذ بيد الصائم إلى الجنة، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: ومن تبع منكم اليوم جنازة؟** قال أبو بكر: أنا. **قال: من تصدق بصدقة؟** قال أبو بكر: أنا. «**قال فمن عاد مريضاً؟** قال أبو بكر: أنا. قال: «**ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة**».

وكان من سيرته ﷺ فى الشهر الكريم الإكثار من تلاوة القرآن الكريم، وفى حديث فاطمة عن أبيها ﷺ أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه فى وفاته مرتين.

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه أن المدارسة بينه وبين جبريل عليه السلام كانت ليلاً؛ فدل على استحباب الإكثار من التلاوة فى رمضان ليلاً، كما يقول ابن رجب الحنبلى: ففى الليل تنقطع الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال سبحانه ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[المزمل:٦]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[البقرة:١٨٥]، أى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر:١]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾[الدخان: ٣].

وكان من شأنه ﷺ إطالة القراءة فى قيام رمضان أكثر من غيره، يقول حذيفة كما هو فى مسند الإمام أحمد: صلى بنا رسول الله ﷺ فى رمضان فقرأ (البقرة) ثم (آل عمران)، ثم (النساء)، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل. قال فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذنه بالصلاة.

وقد روى عن أبى ذر – كما خرجه أصحاب السنن– « **أن النبى ﷺ قام ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا: لو نفلتنا بقية ليلتنا فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته** ».

وهذا يدل على أن قيام ثلث الليل يكتب به قيام الليل كله، لكن مع الإمام، وكان الإمام أحمد يأخذ بهذا الحديث، ويصلى مع الإمام حتى ينصرف، ولا ينصرف حتى ينصرف الإمام.

وقال بعض السلف: من قام نصف الليل فقد قام الليل، وفى سنن أبى داود عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « **من قام بعشر آيات لم يكتب من**

الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب مع القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» يعنى أنه يكتب له قنطاران من الأجر.

ولذلك كان بعض السلف يختم القرآن فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال وبعضهم كل سبع، وبعضهم فى كل عشر، وكان للشافعى فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة، وكان الأسود يقرأ القرآن كل ليلتين من رمضان، وكان النخعى يفعل ذلك فى العشر الآواخر خاصة.

وكان من سيرته ﷺ الاجتهاد فى العبادة والدعاء فى العشر الأواخر من رمضان، حيث كان يخصها بإحياء الليل كله، وخاصة فى الوتر منها التى ترجى فيها ليلة القدر حيث قال ﷺ: « **تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان**»، وفى رواية البخارى «**فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان** ».

اللهم ثبتنا على الحق، وثبت الحق بنا، اللهم وفقنا للقيام بطاعتك على الوجه الذى يرضيك عنا، وزكِ نفوسنا وأقوالنا وأفعالنا وطهرنا من سوء العقيدة والقول والعمل.. إنك جواد كريم.

****

الصوم وتقوية عزيمة المسلم

لاتوجد عبادة من عبادات الإسلام تشحذ الإرادة وتقوى العزيمة كالصوم، لأن الصائم لا تفتأ نفسه الأمارة بالسوء تزين له الشهوة وتغريه بالملذات، فيحتاج فى قهرها وإلزامها إلى نفس قوية، وما يزال الصائم يستخدم إرادته فى قهر نفسه حتى تصبح بالممارسة سلاحاً بتاراً قوياً يستصحبه فى غير رمضان من شهور العام فيكون بذلك قوياً فى فكره وعمله ولا شك أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وقوة المؤمن قوة عاملة شاملة، ولكنها قوة الإرادة والعزيمة.

فبالصوم تقوى العزيمة فالذين لا يملكون الإرادة لا يستطيعون أن يمسكوا عن الطعام والشراب واللذائذ والمشتهيات، ولو لبضع ساعات، لأنهم قد استعبدتهم أنفسهم، وكأنما الحكمة العليا للصوم تحتم علينا أن نتزود من الصوم بالإرادة القوية، وأن نتخذ من ذلك منطلقاً لبناء حياة قوية يختفى منها الوهن والتردد لتحل محلها العزيمة والإصرار، وبذلك لاتهزمنا قوى الشر ولا تنال من قلوبنا وأرواحنا، لأنها قلوب وأرواح انصهرت فى جو الصيام وروحانيته، واكتسبت صلابة وقوة.

والصوم هو التجربة العملية التى تعطى الفرصة لسلاح المراقبة أن يؤدى رسالته، وينهض بواجبه، فالصائم يراقب نفسه بنفسه، وهذا السلاح الذى يراقب الإنسان هو زاجره الداخلى ونفسه اللوامة التى تجعله فى موضع المساء له لنفسه والمحاكمة لها.

إن الصوم يقيم على النفس حارساً من داخلها يضبطها كلما مالت، ويمسكها كلما غافلت، ويقومها كلما اعوجت، ويلومها كلما همت بمعصية أو سوء، ومن أجل ذلك اختصه الله بالثواب العظيم.

لقد أشار رسول الله ﷺ فى نصحه للشباب إلى أثر الصوم البليغ فى تربية الإرادة وإمدادها بالقوى التى تستطيع بها أن تكبت الغرائز وتهيمن عليها لدى

اهتياجها فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء». فالصوم كبت لغريزة الميل الجنسى، وفى ذلك تربية للإرادة وتقوية للعزيمة من امتناع عن الطعام والشراب والملذات والجماع وإرضاء لله تعالى واستجابة لأوامره ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، وتتضح هذه الاستجابة التامة من خلال التضحية الجادة الحازمة والامتناع التام فالصائم المسلم لا يمتنع عن أطايب الطعام دون أخشنه، ولا يضحى بألذ الشراب دون أيسره، ولكنه يضحى بالطعام كله مهما صغرت اللقمة، وعن الشراب كله مهما قلت كميته، ولو بقطرات من الماء، ولو كانت تلك اللقمة أو تلك الشربة مما يظفر به أبسط البسطاء على هذه الأرض.

إن الصوم هو الفرصة العملية التطبيقية لتقوية العزيمة والإرادة وهل تبلغ الإرادة فيما تبلغ أعلى منزلتها حين تكون شهوات المرأ مذعنة لفكره، منقادة للوازع النفسى فيه، مصرفة بالحس الدينى المسيطر على النفس ومشاعرها فيطهر مشاعرها، ويهذب خواطرها، ويسمو بإحساسها، ويصرفها إلى معانى إنسانيتها، ويهذب فى زياداتها ويحذف كثيراً من فضولها، حتى تعود صافية نقية مشرقة بما يجتذب إليها من معانى الخير والإشراق؟

ولذلك لا يكاد شهر شعبان يمضى حتى تشرق النفوس المؤمنة بنور ربها، وحتى يتنسم المسلمون عبق هذا الشهر الكريم، ويكاد يطلع هلاله حتى يغمر إلينا ضوء من الخشية والجلال والنور والكمال. إنه الوازع الدينى الذى يتمثل فى خشية الله كأتم ما تكون، والذى يفعل فى النفوس ما لايفعله القوة والسلطان.

ومن ثم تأتى ضرورته الاجتماعية، حيث يأمن المجتمع المسلم من البوائق، ويستريح من كثير من الشرور - تُرى أخى المسلم أى سلوك يطبع الإنسان والمجتمع على المراقبة الباطنة الوجدانية يضاهى هذا السلوك المثالى.

ومما يقوى عزيمة الصائم اعتياده الصبر وتخلقه به فشهر رمضان كما جاء فى الحديث الذى خرجه الإمام أحمد (وهو شهر الصبر)، ولما كان الصوم فى شهر رمضان متمثلا فى صوم النهار بالامتناع والصبر على الطاعة بقيام الليل فقد روى

أصحاب السنن عنه ﷺ أنه قال: « **الصوم نصف الصبر** »، وهكذا يعطى الله الصابرين ما لا يعطى غيرهم فللصائم عند ربه أجر غير محدود فهو صابر صائم ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[الزمر: ١٠].

واعلم أخى المسلم أن للصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله، وصبر على الأقدار. وتجتمع الثلاثة كلها فى الصوم، فهو صبر على طاعة الله، وعما حرم الله على الصائم من شهوات، وصبر على ما يحصل للصائم من ألم الجوع والعطش وضعف البدن وهذا الألم الناشىء من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه كما قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[التوبة: ١٢٠].

اللهم اجعل شهر رمضان شاهداً لنا عند قيام الاشهاد، ولاتجعله شاهداً علينا اللهم اجعلنا فيه من الفائزين منك بالمغفرة والرضوان، منعمين فى الدار الآخرة بنعيم الجنان، إنك أنت الكريم المنان.

***

أخلاق الصائم

إن للصوم رسالة تهذيبية فهو ينشىء فى الصائم خلق المراقبة، ويقيم منه حارساً عاماً على نفسه إذا هى خالفت أو حاولت أن تخالف. ولذا تأخذ الأخلاق بالصوم صفة عملية فى الحياة، كما تأخذ صفة الثبات والاستمرار والاستقرار؛ لأنها نابعة من الداخل، وليست بزيقا من الظاهر. فيحدث ائتلاف بين الأخلاق الباطنة والأخلاق الظاهرة فهى أخلاق ظاهرها كباطنها وباطنها كظاهرها؛ توحد بين الصائم وداخله.

وتتضح هذه التكاملية فى أخلاق الصائم فى قوله ﷺ: « **الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايفسق، ولايجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمة فليقل، إنى صائم، إنى صائم، إنى صائم** ».

والرفث هو الجماع ومقدماته من قول أو عمل.. وهو ينافى الصوم.

والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى، ومعصية أوامره، والإصرار على عدم التوبة.

والجهل هو التصرف الأحمق الذى يصدر من غير تثبت وروية.

والصائم لا ينبغى له أن يفعل إلا الخير فقط، ولايقول ولا يفعل الشر أبداً فلايجلس مع قوم يغتابون، أو يخوضون فى أعراض الناس، ولا يسمع منكراً، وفى كل وقت يذكر نفسه أنه صائم، بل الأكثر من هذا إذا ما أغضبه أحد، أوأسمعه ما يكره فليقل : إنى صائم ولايرد عليه بما يسىء، ولايفعل معه ما يضر، والأكثر من ذلك أيضاً إذا ما شاتمه أحد، أو ضربه فعليه أن يتحلى بالصبر ويتجمل بالحُلم، ويتخلق بالعفو، قائلاً إنى صائم، وهو فى هذا يحقق قوله تعالى: ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [**الشورى: ٤٠**]

ومن شأن الصائم كذلك اجتنابه الزور: شهادة، وقولاً، وعملاً، مما جُمع فى قوله ﷺ: « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه** » فالصائم الحق لا يفعل هذه الثلاثة فلا يقول إلا الحق، ولا يشهد إلا بالحق، ولا يعمل إلا بالحق.

ومن شأن الصائم كذلك عدم الغيبة والنميمة فقد قال ﷺ: «**خصلتان تفسدان الصوم: الغيبة والنميمة**» وهما من أقبح الذنوب التى يفعلها الصائم أن يذكر أخاه بما يكره مما كان فيه اغتياباً أو لم يكن فيه بهتانا « **هاتان امرآتان صامتا عما أحل الله لهما، وافطرتا على ما حرم الله تعالى** »، وهو لذلك لايليق به أن يسعى بالنميمة بين الناس؛ ليفرق بينهم والنمام أشر من الصائم، وقد قال عنه ﷺ: «**لايدخل الجنة نمام**».

فأخلاق الصائم تتحقق بكف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام والمحرمات صغيرها وكبيرها.. وهذا هو صوم الخصوص، وأما صوم خصوص الخصوص فهو أن يضم إلى ذلك صوم القلب، وطهارة السر عن الهمم الدنيئة والخواطر الرديئة والأفكار الدنيوية، ولايتم له ذلك إلا بالكف عما سوى الله أصلا ورأساً.

وحاصل ما تقدم أن من معانى الكف ومظاهره غض البصر وكفه عن نظر محرم أو مكروه فقد أخرج الحاكم أن النبى ﷺ قال: «**النظرة سهم من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته فى قلبه**». وإنما وجد هذه الحلاوة فى قلبه؛ لأنه صانه عن أن يصل إليه ذلك السهم المسموم الذى يحول دون المرأ المسلم ومفهوم الاتقاء، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.. قال ﷺ: « **إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا آتاك الله خيراً منه** ».

ومن معانى الكف كذلك حفظ اللسان، وإذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء، فحفظ اللسان عن كل لغو وخصومه ومراء وفحش سيما ما ذكرنا من غيبة ونميمة وكذب يحفظ للصائم صيامه، ويفوز

بالخير العظيم، فإذا شاء ألزمه السكوت، وهو مرتبة أقل، إذ لا فضل فى السكوت من حيث هو سكوت، وإن شاء شغله بذكر أو قرآن أو علم ليحوز ثواب ذلك منضماً إليه ثواب صيامه الذى لا يحصره حد ويحصيه عد، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ومن أخلاق الصائم كف السمع عن الإصغاء إلى كل محرم أو مكروه، لأنه مثابة قوله به أكل الحرام كما قال تعالى: ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**﴾[**المائدة**:٤٢] وقال سبحانه: ﴿**لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[**المائدة**:٦٢] فالمستمع للغيبة مشارك فى الإثم كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾[**النساء**:١٤٠] ومن أخلاقه كذلك، كف سائر الجوارح عن المكروه أو المحرم ككف البطن عن الشبع وقت الفطر؛ إذ الصائم عن الطعام الحلال المفطر على غيره كمن بنى قصراً ويهدم مصراً «**كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش**».

ومن أخلاق الصائم شغل يومه وليله بالشكر والعبادة، ولايكثر النوم بالنهار حتى يزيد إحساسه بألم الجوع والعطش فحينئذ يكون على مدرجة الصدق وطريق الحق من كونه شاكراً لنعمة الشبع، ويعلم مقدار ما أنعم به عليه خاصة إذا كان غنياً من أن الله وسع عليه وأحوج غيره، فلعله يجعل من ذلك الشكر إطعامه والإحسان إليه.

ومن أخلاق الصائم بعامة مجاهدته لنفسه فى كفها عن شهواتها، والمجاهدة فى كف النفس عن شهواتها تُلاحق الإنسان بمرتبة الملائكة بل ربما فضلته عليهم، فإن ترك النفس وما جبلت عليه من استيفاء الشهوات والركون إلى الدعة والرفاهية والبطالات تلحق بمرتبة البهائم، بل تجعلها أدنى منها بكثير﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ**﴾[**الأنفال**:٢٢].

اللهم أجرنا من عذابك، وأمن خوفنا من عقابك، وهب لنا ما وهبته لأحبابك وانقلنا من التفريط والغفلة إلى فسيح جناتك.. اللهم حقق رجاءنا واقبل دعائنا.

* * *

اغتنام الأوقات فى شهر الطاعات

اعلم أخى المسلم أنك مشهود عليك فى جميع أحوالك من فعلك وقولك، فالله تعالى مطلع عليك، ولا تخفى عليه خافية ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[يونس: ٦١].

وقد أعطاك الله أخى المسلم أمانة عظيمة؛ أنت مسئول عنها، وهى عمرك الذى تسأل عنه يوم القيامة، فاغتنم فراغك قبل شغلك ومن معانى الاستقامة اغتنام الوقت فى العمل الصالح، وذلك لأن المرء سيحاسب على هذه الساعات، قال ﷺ« **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**».

والوقت أمر مهم فى حياتنا، والأيام والليالى شاهدة علينا يوم القيامة فكل يوم شاهد، وكذا كل ليلة، ودليله ما رواه أبو نعيم عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ « **ليس من يوم يأتى على العبد إلا وينادى فيه، يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك شهيد، فاعمل فىّ خيراً أشهد لك به غداً، فإنى لو قد مضيت لم ترنى أبداً، ويقول الليل مثل ذلك** ».

ولقد أقسم الله تعالى ببعض الأوقات تعظيماً لها، وإعلاءً لشأنها، فأقسم بالفجر، وبالليل، وبالشمس، كما أقسم سبحانه بالعصر أى الدهر، كما قال ابن عباس رضى الله عنه، وذلك لما فيه من التنبيه على تصرف الأحوال وتبدلها، وما فيها من الدلالة على الصانع سبحانه.

إن الوقت فى حياتنا إنما هو الحياة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، والوقت حلقة من سلسلة الحياة، المحدودة الحلقات، إذا مضى نقص عمر الإنسان، وخطوة فى طريق الحياة إلى النهاية، لا ندرى كم كتب بعدها لكل منا

من خطوات، لقد تلاشت فى محيط الحياة، وذابت فى طيات أمواجها كما يذوب الجليد الذى صهرته الحرارة، وذهبت هذه الأوقات التى مضت بعيدا عن هذا المفهوم ولن تعود!! وهكذا تتلاحق الأعوام عاماً بعد عام.

وهنا نسأل أنفسنا: ما الذى استفدناه لأنفسنا، ولأمتنا خلال عام مضى بدقائقه وساعاته وأيامه ولياليه؟

هل اهتدينا فى رمضان الماضى إلى أسلوب صحيح، حتى جاء رمضان هذا العام، فإذا نحن أزكى نفوساً، وأصفى أرواحاً، وأطهر أخلاقاً؟ ولقد أتى رمضان يذكرنا بقيمة الوقت فى حياة المسلم، فلا فراغ فى حياة المؤمن، ولا فراغ والإسلام قائم بالنفوس، ولا فراغ والإيمان يعمر القلوب، ولا فراغ فى حياة أمة لها غاية، ولا فراغ فى يوم الصائم وليلته فهو فى خلوة طيبة مباركة يتجرد فيها الإنسان عن مطالب المادة.

رمضان هو هذا الوقت المبارك الذى يدرك النفس، وقد غرقت فى المادة فيرتفع بها إلى عالمه، ويجردها من كل ما يحيط بها من أدران، ويطوف بها فى عالم النور، ويفيض من القلب الخشوع والخضوع.

من عرف حق الوقت فقد أدرك قيمة الحياة، وما أحوجنا فى رمضان إلى محاسبة أنفسنا على ما فات من عمرنا دون طاعة؛ مما يستوجب الندم على الأخطاء، ونستقيل العثرات، ونقوم المعوج.

ينبغى للعبد أن يتدارك أوقات رمضان بالأعمال الصالحة، ويبارك بالأعمال قبل انقضاء الأجل، وقبل الرحيل إلى القبور والانتقال، قبل غلق الباب، وطى الكتاب، وانقطاع الأسباب، قبل هجوم الموت، وحُلول الفوت، والانتقال من الديار العامرات إلى حفر ضيقة ظلمات، ثم يتذكر الوقوف بين يدى الحكم الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السموات ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا** ﴾[**آل عمران**: ٣٠].

فموقفك أخى المسلم يوم الحساب مرتبط بالزمن، وذلك اليوم يفوز أقوام استغلوا أوقاتهم فى طاعة الله، ويخسر أخرون فرطوا وتكاسلوا وضيعوا أعمارهم سدى.

أخى المسلم : لقد أظلك شهر عظيم مبارك فاجتهد فيه بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل من صلوات وصدقات وبذل معروف وإحسان وصبر على طاعة الله، وعمارة نهاره بالصيام وليله بالقيام، وساعاته بتلاوة القرآن، وذكر الله عز وجل، ومجالسة الأخيار والصالحين والإقبال على العلم النافع، فالمحروم من حرم الخير فى هذا الشهر، والشقى من نسى الله فنسيه، والمفلس من يدخل عليه رمضان، ويخرج وهو لم يغير من حاله ويستعد لمآله.

اللهم وفقنا لاغتنام أوقاته وساعاته واجعلنا من الفائزين يوم تشهد الدواوين ويقوم الناس لرب العالمين .. اللهم احشرنا فى زمرة السعداء والمتقين، وألحقنا بالصالحين، وتوفنا مسلمين .

* * *

كيف تكون بيوتنا فى رمضان؟

إن شهر الصيام له خصائص خاصة، يتميز بها الصائم المسلم، والمجتمع المسلم، والبيوت المسلمة - وقد سبق أن تحدثنا عن أخلاق الصائم الذى لايرفث ولايفسق ولا يجهل، والذى يدع قول الزور والعمل به، والذى يتجنب الغيبة والنميمة، والذى يكف سمعه وبصره، ويكف أذاه عن الناس، والذى يغتنم الأوقات فى الطاعة والذكر وصنوف العبادة والدعاء.

أما البيوت المسلمة فى رمضان فلها خصائص إيمانية، فهى بيوت يكثر فيها من تلاوة القرآن الكريم، والاستماع إليه، فالبيت الذى يقرأ فيه القرآن يزداد خيره وبركته، والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره وبركته.. إن الحياة فى رحاب القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، فتلاوته نعمة وبركة وتتنزل الرحمات على قارئيه، والاستماع إليه خشوع وتواصل مع كلمات الله.

قال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة اللون، يشير إلى سهره وطول تهجده، وقيل لرجل ألا تنام؟ فقال: ان عجائب القرآن أطرن نومى، وصحب رجل آخر فرآه لا ينام، فتعجب فقال: إن عجائب القرآن أطرن نومى، وما أخرج من أعجوبة إلا وقعت فى أخرى.

وهى بيوت يطعم فيها الطعام، وتوصل فيها الأرحام، خاصة فى شهر المواساة الذى يزاد فيه فى رزق المؤمن كما ورد فى الحديث الشريف «**من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه؛ وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء. قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم. قال: يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة ماء**».

وإطعام الطعام منزلة عظيمة للمسلم الصائم، فهذه طهرة لماله، وبركة فى منزله، ومعاونة للصائمين على صيامهم، وتحقيق لمفاهيم إسلامية مثل التزاور فى

الله والتحاب فى الله، وكذا صلة الرحم المسلمة، خاصة إذا كان الصائمون المطعمون من ذوى الرحم، فيجتمع للمسلم فضلين معاً (إطعام الصائم - وصلة الرحم).

وهى بيوت تعمر بالذكر والتسبيح والدعاء فى شهر الصيام، يُرجى قبوله فليس هناك شىء أكرم على الله من الدعاء، وأعظم أوقات الدعاء للصائم فى ليلة القدر، ووقت السحر، وعند الإفطار - فيستقبل الشهر بالدعاء (اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله)، والدعاء عند الإفطار (ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله) والدعاء عند الإفطار لدى غيره (أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة). والدعاء فى ليلة القدر (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى).

وهى بيوت تخرج منها الصدقات، فتعطى للمحتاجين، فأفضل الصدقة صدقة فى رمضان، والجمع بين الصيام والصدقة من أبلغ الأبواب فى تكفير الخطايا، واتقاء جهنم، والمباعدة بينهم، وهى من موجبات الجنة التى أعد الله فيها غرفاً لمن طيب الكلام وأطعم الطعام، وأدام الصيام.

ولأن الصيام لا يسلم غالباً من اقتران خلل، أو نقص به، وتكفيره للذنوب مشروط بالتحفظ مما لا ينبغى قولاً وفعلاً؛ فالصدقة تجبر نقصه وخلله.. ولهذا وجبت فى رمضان زكاة الفطر طهراً للصائمين من اللغو والرفث. وهى تحقيق لمعنى المجتمع المسلم المترابط المتكافل الذى يشعر الغنى فيه شعور الفقير، ويحس بإحساسه، ويكون المسلمون عندئذ بنياناً واحداً يشد بعضه بعضا، ولا مجال للحقد والحسد والضغينة والبغضاء لأن الغنى يبذل للفقير فيدعو له بالبركة فى المال والرزق.

وهى بيوت لا يُستمع فيها إلى المعازف والأغانى وآلات اللهو، وكل صنوف المنكرات وذلك بصوم آذاننا عن سماع الفواحش من القول البذئ من الكلام فتفطر على سماع الهدى والذكر وطيب الكلام، وتلك آذان المسلم النقى الذى

يعلم مسئولية السمع ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٦]

إن البيوت التى يتعلق فيها أصحابها بالاستماع أو اللهو أو مشاهدته؛ رغم كونهم صائمين هى بيوت استوطنها الشيطان فعبث بقلوب أهلها، وسلك طريقاً داخل عقولهم، ومد حباله وشباكه فى هذه البيوت ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[لقمان:٦].

وهى بيوت تتسم بالتراحم والتواد والتعاطف ونفع الناس، واجتماع المسلمين حول مائدة الإفطار، وشكرهم لله تعالى، وإحساسهم بنعمة الله عليهم من توفيقهم للإيمان والطاعة.

ولذلك فالرحمة تصبغ بيوت المسلمين فى رمضان فالرحمة والمحبة من لوازم الصائم المخلص فى صيامه، فنفسه التى طهرها الجوع والظمأ وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى، لامحالة أن تنعكس عليها إلا الرحمة لعباده، والمحبة لهم.

أخى المسلم

إن بيوتنا فى رمضان هى بيوت هذبها الصيام، وطهرها القيام، ونقى أهلها الصبر على الطاعات، وائتلفت بالأخلاق الإسلامية وانصهرت فى معين الصيام.

اللهم نجنا من النار، وأعذنا من دار الخزى والبوار، وأسكنا برحمتك دار المتقين الأبرار يا أرحم الراحمين.

***

المجتمع الإسلامى فى رمضان

إن الصوم يحقق الائتلاف والتآلف بين المجتمع، فكلهم صائم لربه، مستغفر لذنبه، الجميع يمسكون عن الطعام فى وقت واحد، ويفطرون فى وقت واحد، ويتساوون طيلة نهارهم فى الجوع والحرمان، كما يتساوون فى الشعائر الدينية المختلفة المرتبطة بشهر الصيام من قراءة القرآن وقيام الليل، واستماع دروس العلم. وهكذا يخلق الصيام نوعاً من وحدة العمل، ووحدة الهدف، ووحدة الشعور، ويعطى أبلغ دروس الوحدة العملية التطبيقية ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[المؤمنون:٥٢].

إن الصوم ينشىء التقوى، ويؤلف المشاعر والقلوب، ويخلق من المجموعة المسلمة أسرة واحدة، أساس التفاضل بينها التقوى والعمل الصالح، أسرة تحيا على التعاطف والإيثار، تمتد فيها يد الغنى لتعطى الفقير، وينبعث فيها شعور الإخاء والتعاطف فى أعماق الضمير، لأن الصوم يفجر فى قلبها أغزر ينابيع الرحمة، فتنطلق فى البذل والعطاء، وإن لم تسمع من الفقير أى نداء.

وترى خلق الإيثار واضحاً فى رمضان، وأروع مظاهره فى العطاء السخى للغير كمن يحرم نفسه، ويعطى لغيره ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩]. والصائم فى خصاصة (أى فقر) لأنه يتساوى من ملك الثروة الضخمة مع من لم يملك شيئاً، فالجميع ممتنعون، والجميع يعطون زكاة الفطر التى هى واجبة على كل صائم؛ تحقيقاً لهذه المعانى.

إن الأهم أخى المسلم أن الحصيلة الاجتماعية التى تنشأ من الصوم لا تلبث أن تصير أخلاقاً ثابتة لا تحول عنها، لأن الصائم مطالب أن يستصحبها فى غير رمضان من شهور العام فإذا اعتراها ضعف أو وهن، أو تجمع عليها غبار الزمن جاء رمضان الجديد ليعيد إليها الصفاء والبهاء والتألق، ويشحذها ويصقلها من جديد؛ فتغدو قوية عاملة محققة معنى الخير العام فى مجتمع الصائمين.

حقاً إن الصوم ليس عبادة سلبية تتمثل فى الكف والامتناع، وإنما الكف وسيلة لمعانى إيجابية تبنى الحياة، وتثرى المجتمع، وتفيض على الناس خيراً وبركة.

إذا أراد المرء أن يتحقق من معنى الاستجابة الاجتماعية فى شهر الصيام فعليه أن يسير فى أحد شوارع أى مدينة أو قرية إسلامية ليجد الشوارع خالية عند آذان المغرب فالجميع مستجيبون لأمر الله ومتهيئون لتعجيل الفطور، حتى لو بشربة ماء أو بتمرة أو مذقة لبن.

إن الصيام يدفع الأمة لأن تعلو رايتها وترتفع، وحين يسكت صوت المعدة ليرتفع صوت الروح فتصفو وتتألف وتنفجر فضائلها وتتدفق فتصبح صافية نقية مشرقة تقية فالبِطنة تهبط بالإنسان من سماء إنسانيته وسمو روحانيته إلى مستسلم لشهوات حسه ونفسه.

ومن هنا ندرك الحكمة من قوله ﷺ فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنه «**المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء**».

إن المؤمن شفيف الروح، يعيش دنياه لآخرته، وغير المؤمن محتبس بظلمته وكنوده فى سجن المادة، وشبع المعدة، ولاشك أن ذلك يوبق الروح، ويطمس أنوارها، ويحجب أسرارها.

وإن الصوم يضع هذه الأمة أمام تجربة رائدة للوحدة الشعورية، وهى من أروع التجارب وأخصبها وأعمقها أثراً فى حياة الأمم إنها وحدة يصنعها الإيمان وبيان لمعنى الالتزام فعند آذان الفجر يمسك الصائمون عن ملاذهم بعد أن حصنوا القلب بالخشية واللسان بالذكر أى سلوك يطبع على الأمة وحدة مصونة مثل هذه الائتلافية فى لحظة واحدة هى لحظة الفجر الصادق يتم الإمساك والنداء واحد والمعبود واحد والقبلة والغاية متحدتان، وتمضى الساعات طيبة الذكر يغمر الصائم مع كل لحظة فيها فيض من النور، وفى لحظة واحدة هى لحظة الغروب يتجمع الصائمون للإفطار وآذانهم وقلوبهم معلقة بالآذان كذلك.

بالعظمة هذه الأمة حين تصبح وتمسى وهى تحيا كالجسد الواحد وترتبط حركاتها بكلمات الآذان، وحركة الليل والنهار، وهكذا تأتلف القلوب وتتوحد المشاعر والخواطر؛ فتغدو الأمة قلباً واحداً يتجه فى الحياة وجهة واحدة.

اللهم اجعلنا على الصراط من العابرين، وعلى حوض نبيك ﷺ من الواردين ولكأسه من الشاربين، واعطنا اللهم صحائفنا باليمين، واجعلنا يوم العرض من الفائزين.

***

الصبر في رمضان

اعلم أخي المسلم أن الله تعالى يعطي الثواب على قدر المشقة، فكلما كان العمل الذي تعمله لله قد كثر تعبه وزادت مشقته زادك الله من عطائه وكرمه. وبما أن الصوم من أشق العبادات على النفس وأجهدها للجسم فقد أعطى الثواب فيه مضاعفاً بما لا يُعطى في غيره مما لا يعلمه إلا الله، ولذلك مما أعطاه الله تعالى لهذه الأمة في رمضان خمساً، منها أن الله تعالى يأمر جنته فيقول له استعدي وتزيني لعبادي أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي.

وعندما نتأمل الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد ولفظه «**كل عمل ابن آدم له كفارة، إلا الصوم، والصوم لي، وأنا أجزي به**»، وفي رواية الصحيحين «**وكل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**» نجد استثناء الصيام من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال الصالحة كلها تتضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد فإن الصيام من الصبر قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[الزمر: ١٠].

ولقد سمى رسول الله ﷺ شهر رمضان بـ(شهر الصبر) في عدة أحاديث صحيحة.. وفي حديث أخرجه الترمذي «**الصوم نصف الصبر**».

وان الصبر أنواع ثلاثة: فهناك صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله، وصبر على القضاء والقدر والآلام والبلايا، وتجتمع هذه الثلاثة في الصوم.. ففيه صبر على طاعة، وصبر عما حرم الله من الشهوات، وصبر على ما يحصل للصائم من ألم ناشئ عن الصوم وألم الجوع والعطش وهذا الألم الناشئ من أعمال الصالحات التي يثاب عليها صاحبها، ولذا قال تعالى في شأن المجاهدين ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[التوبة: ١٢٠].

وفى حديث سلمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه عن فضل شهر رمضان «**وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة**».

فالصوم ليس صبراً على الجوع والعطش فقط، فهذا أمر لا يحتاج إلى كثير مجاهدة، ولكنه صبر على حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التى جبلت عليها. ولا يقتصر الصبر فى الصيام على ما يعانيه الصائم أثناء نهاره، وإنما هناك صنوف أخرى من الصبر، مثل الصبر على قيام الليل (صلاة القيام)، والصبر على صلاة التهجد، والصبر على الاعتكاف فى العشر الآواخر، والصبر على مداومة تلاوة القرآن الكريم، والصبر على الإيذاء « **فإن امرؤ قاتله أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم، إنى صائم إنى صائم** » فإذا شتمه أحد أو أساء إليه وجب عليه التحلى بالصبر ويكظم غيظه لله تعالى ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٣٤].

إن بعضاً من الناس ينفعل فى رمضان لأتفه الأسباب؛ متذرعاً ومعللاً بأنه صائم، وطالبا الصفح عنه لأن الصوم هو الذى أفلت عصابه، وسريعاً ما يغضب ويثور ولا يتحمل أحداً خاصة مع اقتراب ساعات الإفطار، وهذا ينافى كل ما ذكرنا، وهذا مما يحبط العمل ويذهب بثوابه كما سبق أن تحدثنا عن أخلاق الصائم وكيف أنها متكاملة، والدليل القوى فى ذلك هو قوله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله تعالى حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**»، وقوله ﷺ: « **رب صائم لا ينال من صومه إلا الجوع والعطش**».

والتزام الصائم بخلق الصبر ليس كفاً وامتناعاً فقط، وإنما مجاهدة النفس من أكبر الدروس العملية التى تُعد الصائم الصادق للتقوى، وتعده للأعمال الشاقة، فهو يربى الإرادة، ويغرس فى صاحبه الصبر على المكاره والشدائد، وهذا الصبر تحصين للمسلم فلايجوز للصائم العابد أن يخالف ما تقتضيه العبادة من السكون والهدوء، والحلم والوقار والطاعة والاستغفار والخشوع والخضوع، فلايجوز له أن يطعن أو يلعن، ولايصخب ولايغضب ولا يكذب، ولا يأكل حقوق الناس،

والذى يفعل من هذه العمال شيئاً وهو صائم فقد أهدر أجره وأضاع صبره، وكما قال العلماء كمن يبنى قصراً، ويهدم مصراً.

لقد جمع الله صنوف الطاعات، وفَصَّلَ صفات المسلمين والمؤمنين فجمع فيها بين أمرين مهمين هما الصيام والصبر مما نجده فى سورة الأحزاب فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[الأحزاب:٣٥].

اللهم اجعلنا من الصابرين، ومن القانتين، ومن الخاشعين وتقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا.

***

معركة بدر الكبرى
فاتحة الانتصارات الإسلامية

وضع رسول الله ﷺ - بعد أن استقر به المقام فى المدينة - أسس بناء المجتمع الإسلامى الجديد، فبادر صلوات الله وسلامه عليه إلى بناء المسجد، لتظهر فيه شعائر الإسلام، التى طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التى تربط المسلم برب السموات والأرض.

لهذا كان المسجد فى المجتمع الإسلامى، مصدر التوجيه الروحى والمادى والمعنوى، وفى الوقت الذى أسس فيه رسول الله ﷺ، قاعدة الانطلاق للأمة الإسلامية، أقام بنيان هذه القاعدة من الإخاء الإسلامى الكامل، الذى تذوب فى بوتقته عصبيات الجاهلية، والقبلية، والقومية، والعنصرية، فلا حمية إلا للإسلام، ولا يفوت المشرع الأمين أن المجتمع الإسلامى فى دولة الإسلام، قد لا يخلو ممن لا يدينون بدين الإسلام.

ولهذا لم يتجه إلى سياسة الإبعاد أو المصادرة.. وإنما قبل المعاهدات السلمية التى تنص على احترام العقائد وحرية الدين، والعمل على بناء المجتمع الإنسانى السليم.

وكان لابد أن يكون المسلمون على مستوى المسئولية فى إعداد ما يجعلهم أهلاً للعزة والكرامة ورسالة الإسلام.

وكان المسلمون أثناء هجرتهم، قد خسروا ديارهم وأموالهم وكل ثرواتهم وما يملكون، والمنطق يقتضى أن يعرف هؤلاء حقوقهم فيستردوها من الطاغة التى أعمتهم جاهلية الجهلاء... والضربة التى تنزل بأهل مكة موجعة إذا ما قدر للمسلمين أن يستولوا على عير لقريش فيها ألف بعير محملة بالأموال عائدة من الشام إلى مكة.

وخرجت جماعات مع رسول الله ﷺ . . يحسبون أن مضيهم فى هذا لن يعدو ما ألفوا من السريا . . ولكن قائد القافلة أبو سفيان ينجو من الخطر المحدق.

وكان قد أرسل إلى أهل مكة يدعوهم لحماية أموالهم . . واستطاع ضمضم ابن عمرو الغفارى أن يثير القوم فى مكة ويوقد فى قلوبهم نيران القتال والحرب . . فخرج الناس وهم يغلون، وكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا، معهم مائتا فرس يقودونها، ورأى أبو سفيان بن حرب بعد نجاة القافلة أن يرد القوم إلى الديار . . لكن أبو جهل الطاغية . . يقسم (ألا ترجع حتى نرد بدراً ونقيم فيها ثلاثا . .).

ولا شك أن فى هذا تحدياً كبيراً للأمة الفتية الناشئة، وفيه أيضاً قضاء على نموها واتساعها . . ولهذا واجه المسلمون هذا التحدى الخطير، وهم قلة فى العدد . . إذ لا يصل عددهم الثلاثمائة وخمسة عشر . . وليس معهم العتاد الكافى . .

وليس للمؤمنين سلاح إلا سلاح الإيمان الذى ينير القلوب ويبصرها بما هو مطلوب . . فاندفع المسلمون يخططون ويرسمون ويتدبرون . . ولم يرموا بأنفسهم دون تخطيط أو استعداد، ولم ينغمسوا فى الملذات والطرب، وهم فى حالة حرب، ولم يجلسوا وينتظروا مفاجأة العدو لهم، لم يستعينوا بالشرق أو الغرب، مع أنهم عرفوا أن عدد عدوهم بين التسعمائة إلى الألف.

وقد عرفوا ذلك من سؤال لغلامين . . كم ينحرون كل يوم . . قال الغلامان: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

وأقبل الرسول الأمين -قائد قافلة الإيمان، والقلة المؤمنة- يقول لجنود الحق: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[1].

وانكشف وجه الجد، واللقاء سوف يكون، وها هم المؤمنون، الذين آمنوا بالله خالق السموات والأرض، واتبعوا رسول الله الذى أرسله الرحمن لينقذ

---

(١) صحيح مسلم، جـ٥، ص ١٧٠، وفى سيرة ابن هشام، جـ٢، ص٦٥.

الناس من ظلمات الوثنية والإلحاد.. ها هم مع قائدهم، يتأملون الموقف الصعب والامتحان المر.. ولم تؤثر فى نفسياتهم كثرة عدد عدوهم، لأن الإيمان علمهم العبرة بالكيف لا بالكم.. واستشار رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش.. فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال: فأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله أمض لما أمرك الله.. فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون.. لكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون.. فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1]، لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه.

فقال رسول الله ﷺ: « **خيرا ودعا له بخير** ».

ثم قال رسول الله ﷺ: « أشيروا على أيها الناس».. وكان يريد الأنصار وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة. قالوا: يارسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

وكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار، ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وإن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو ليس من بلادهم.

فلما قال رسول الله ذلك.. قال له سعد بن معاذ.. والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل.. فقال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله، لما أمرك الله.. فوالذى بعثك بالحق، إن استعرضت بنا هذا البحر، فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، أنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك،

(١) برك الغماد: مدينة بالحبشة، وهو كناية عن المكان البعيد.

فسر على بركة الله. فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «**سيروا على بركة الله وابشروا فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم**»[1].

وتأهب المسلمون لخوض المعركة.. وعسكروا فى أدنى ماء بدر.. فجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله ﷺ قال: أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأى، والحرب والمكيدة.

فقال: يارسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، أمض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم، فنعسكر فيه، ثم نغور ما ورءاه من الآبار، ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولايشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأى ثم أمر بانفاذه، فلم يجىء نصف الليل حتى تحولوا كما رأى الحباب، وامتلكوا مواقع الماء[2].

وتلك سياسة فى الإسلام ترشد إلى يقظة جنود الحق، وقوة ذكائهم وحرصهم على امتلاك مواقع القوة.

وكان رسول الله ﷺ يتفقد الرجال، وينظم الصفوف، ويسدى النصائح ويذكر بالله والدار الآخرة.. ثم يعود إلى عريش هيىء له، فيستغرق فى الدعاء الخاشع.. ويستغيث بإمداد الرحمن.

ووقف أبو بكر إلى جوار رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يكثر الابتهال والتضرع، وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «**اللهم انجز لى ما وعدتنى، اللهم نصرك**».. ويرفع يديه إلى السماء، حتى سقط رداؤه عن منكبيه.. وجعل أبوبكر يلتزمه من ورائه، ويسوى عليه رداءه، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجزلك ما وعدك[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ٢، ص٢٨٩.
(٢) سيرة ابن هشام.. الجزء الثانى، ص ٦٦.
(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد (انظر فقه السيرة للعالم الشيخ محمد الغزالى، ص ٢٤١) طبعة دار الكتب الحديثة.

ودارت المعركة، واشتد رحاها، وزاد هولها، وتفاقم وضعها، وحمى وطيسها. . وانعقد غبار الأرض فوق رؤوس المقاتلين. . وهم بين كَرٍّ وَفَرٍّ. جنود الإيمان استسلموا للّه الواحد الرحمن.

وجنود الإيمان قلة. . ولكن عقيدتهم جعلتهم كثرة. . أو قلة تفوق الكثرة. . لأن الإيمان يحيل الإنسان إلى شخص غير عادى.

والملائكة تتحرك لتبث فى المؤمنين روح اليقين والتضحية. . أما جبابرة الكفر والوثنية. . فرغم عدتهم وكثرتهم فقد تهاوى كيانهم أمام مطارق الإيمان وتبلد حسهم أمام ضربات الحق.

وصاح قائد المسيرة الإسلامية محمد ﷺ وهو يرى كبرياء الكفر والإلحاد يتمرغ فى تراب الأرض، قائلاً: « **شاهت الوجوه..**».

وانتصر المسلمون فى أول معركة يخوضونها. . وكان انتصارهم عظيماً. . ولهذا سجله التاريخ، وسيبقى أبد الدهر مثلاً حياً للبطولة فى سبيل اللّه.

ويقول أحد قادة الفكر الإسلامى محللاً الفرق بين قوة المسلمين وقوة القريشيين الكفرة: تقدم الرسول إلى بدر بكتيبة ليس لها من معدات الجيوش ما لقريش. . فقد كانت الخيالة فيها لا تزيد على فارسين فى رواية وثلاثة فى رواية أخرى.

ولم تكن لها دروع ولا سلاح غير السيوف. . بل لم يكن لها ما يكفى من الإبل لحمل العتاد والرجال.

هذا على حين كان لقريش العدد والعدة، فإن عدد فرسانها مائة فارس، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول، وكان معها من الإبل ما يكفى لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم، وكان كل ما يعرف من أنواع السلاح، إذ ذاك متوفرا لها. وكان معروفا ثرائها، واستعدادها الدائم للحرب وخصوصاً هذه المعركة.

ولكن شيئاً عظيماً كان متوافراً لأصحاب الرسول، فاستعاضوا به عما ينقصهم من العدد والعدة.

أما هذا الشيء العظيم فهو أمور ثلاثة:

الأول: النظام، فإن التربية الإسلامية سواء أكانت فى صورة العبادة، أم تلقين عقيدة التوحيد، أم إرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل، أم الإيمان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة، أم إيثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة، وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة، كذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول، وأولى الأمر منهم.

إن هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة.. لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين.

الثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الإسلام نفوسهم، وشحن بها قلوبهم، فإنهم كانوا يؤمنون بالبعث، فهم لذلك لا يرون الموت فناءً مطلقاً، بل يرون أن وراءه - مع إدراك فضل الشهادة - حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة.

الثالث: وحدة القيادة، فقد كان المسلمون متميزين بها، يتفانون فى الإخلاص والطاعة لقائدهم، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم [١].

والخلاصة .. أن قتلى قريش فى هذه المعركة خمسة أمثال قتلى المسلمين، وكان أسراهم مثل قتلاهم.

ولكن ليس المهم فى بدر عدد القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم التى غنمها المسلمون.. وإنما المهم .. أن أعداء الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه والمسلمين دفنوا فى وادى بدر سيادتهم على الجزيرة العربية.

وأن قوى الشر الجامحة مهما أعدت نفسها، فإن قوى الإيمان أقوى منها.

والإيمان هو الفاعلية المحركة لأبناء الأمة الإسلامية.. وهو القاعدة التى أثبتت صلاحيتها فى كل المعارك التى خاضها المسلمون..

---

(١) انظر كتاب (بطل الأبطال) للأستاذ / عبدالرحمن عزام، ص٩٣، الطبعة الثانية، لوزارة المعارف بالسعودية، ١٣٨٩هـ.

ومعركة بدر الكبرى . . تعتبر قاعدة لدولة الإسلام . . وهى أول معركة حربية يخوضها المسلمون فى سبيل الإسلام. . وإن موقعة بدر لتمثل مشهداً فاتناً للعون الإلهى لعله كان فريدا، من ناحية واحدة، فى تاريخ الحرب كله. . فكثيرا ما يحدث أن يوفق جيش قليل العدد نسبياً . . ولكنه حسن التجهيز، مؤلف من جنود بواسل يمتازون بانضباطهم، وببراعتهم فى اصطناع السلاح.

أقول كثيراً ما يحدث أن يوفق مثل هذا الجيش إلى إيقاع الهزيمة بجموع تفوقه عدداً، ولكن تعوذها مزايا متكافئة. . بيد أن الذى يجعل موقعة بدر فريدة على نحو رائع هو. . أن وجوه الضعف كلها اجتمعت فى ناحية. . ووجوه القوة كلها اجتمعت فى الناحية المقابلة.

كان عدد أفراد الجيش القرشى ثلاثة أضعاف المسلمين الذين شهدوا تلك المعركة، وكانت صفوفهم تضم جنوداً أولى شهرة وصيت. . جنود كان القتال حرفتهم التى احترفوها عمرهم كله. . والسلاح أيضاً موفوراً فى أيديهم. . بل أكثر من موفور. . وكان كل منهم يلتثم بدرع سابغة. . وكان فيهم مائة فرس، عليها مائة فارس. . وسبعمائة بعير. . فما كانت قوة المسلمين؟

كان عددهم ثلث عدد عدوهم. . وكانت صفوفهم تضم نفراً من الفتيان الذين لم يبلغوا الحلم بعد. . ومن المهاجرين الطاعنين فى السن، وبعض الأنصار، وكلهم ليسوا بأكفاء للمكيين المولعين بالحرب. . فما كان عدد فرسانهم وجمالهم؟ فارسين وسبعين بعيراً ليس غير. .

وفيما يتصل بالعدد. . لم يكن ثمة مجال للمقارنة البتة. .

وهكذا قُذِفَ بالضعف المطلق. . فى وجه القوة الغامرة. . ولكن اليد الإلهية امتدت لنصرة الضعفاء، نافخة فى قلوبهم قوة . . قوة غير قوة العدد أو العدة أو السلاح، فإذا بالقوة الدنيوية تمنى بالهزيمة[1].

---

(١) حياة محمد ورسالته، ص١٣٩، ١٤٠ . للعالم الباكستانى مولانا محمد على . . ترجمة منير البعلبكى، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٦٧م.

وإلى هذه الظاهرة يلفت القرآن الكريم الانتباه فى الآية التالية: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[**آل عمران**:١٣].

وإنما كانت معركة بدر، من ناحية، ضربة قاصية وجهت إلى قوة المشركين.. على حين أنها رسخت، من ناحية ثانية جذور الإسلام.

وإلى هذا فقد خلفت أثراً رائعاً فى نفوس اليهود، وفى نفوس القبائل البدوية المجاورة أيضاً.. لقد قالوا فى ذات أنفسهم: كيف تأتى للمسلمين أن يهزموا مثل هذا الجمع العظيم؟ لاريب فى أن الله قد أيدهم بروح منه .. أنهم دهشوا إذ رأوا كيف صرع ألد أعداء الإسلام فى غير ما استثناء[1]..

أليس فى ذلك ما يؤذن بأن يد الله قد عملت عملها؟ وثمة حقيقة أخرى واضحة فى معركة بدر، وهى أن الرسول كان فى قلب الميدان يبتهل إلى الله بعينين دامعتين.. على حين كان أبو جهل من ناحية أخرى يبتهل إلى الله أيضاً أن يهزم أيا من الفريقين المتناحرين، كان مسئولا عن قطع صلة الرحم وعن البلاء المتطاولة.. وحتى قبل أن يفصل القريشيون من مكة.. كانوا قد ضرعوا إلى الله فى الكعبة أن ينصر من كانوا على الحق..

وهكذا كانت نتيجة معركة بدر.. إذا جاز التعبير.. حكماً إلهياً على الباطل، لقد حظى الحق بالتأييد الإلهى فانتصر.. لقد أحبطت خطط العدو..

بينما وجد المسلمون فى إحباطهم مصداقاً للوعود الإلهية التى أكدت لهم طوال هذه السنوات، أن الحق لابد أن يسود آخر الأمر.. فخلال فترة المحن والبلايا المتطاولة، كانوا قد تلقوا عزاء إلهياً.. مفاده أن كل مقاومة الكفار سوف تنهار.. وإن الإسلام سوف يخرج من الصراع منتصراً.

---

(١) كان أبو جهل مثالاً للعناد يقاتل فى شراسة وغضب يقول:

ماتنقم الحرب الشموس منى ... بازل عامين حديث سنى
لمثل هذا ولدتنى أمى

وها هم الآن يرون ما كانوا قد آمنوا به إيماناً راسخاً يصبح حقيقة واقعة، فإذا بعدالة قضية الإسلام تتجلى لأعينهم، كالشمس فى رابعة النهار[1].

نفوس صاغها الإيمان.. وصقلتها الطاعة، والتدريب، والنظام، والمشورة، والأدب، والوفاء، والصدق، والإخلاص..

وقد عبر الصحابة رضوان الله عليهم، والجنود الذين شهدوا المعركة، وخاضوا غمارها غير هيابين ولا وجلين.. عبروا بشعر حيوى، وكلمات حية، من واقع المشهد العظيم والمعركة الحاسمة.. وجدير بأبناء أمتنا أن يهتموا بهذا الشعر الذى قيل فى المناسبة ذاتها، ويروا ما فيه من قوة ودقة تصوير.

وقد فعلت خيراً كلية اللغة العربية بالرياض.. حيث أبرزت هذا الشعر، فى موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وتصدر تباعاً فى أجزاء.. وقد حقق هذا الشعر تحقيقاً علمياً، توفرت له الإمكانات المادية المطلوبة.

وسوف أختار قصائد قيلت فى معركة بدر الكبرى.. وسجلتها كتب الأدب والتاريخ والسير.. ويعلم الله.. أننى تفاعلت مع هذه الروائع الأدبية.. التى جاءت بها قرائح المؤمنين المقاتلين فى بدر.

يقول على بن أبى طالب:

ألـم تـر أن الله أبلى رسـوله
بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنـزل الكـفار دار مذلة
فلاقـوا هواناً من أسـار وقتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره
وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجـاء بفرقـان من الله منزل
مبينة آياتـه لـذوى العقـل

---

(١) حياة محمد، ص١٤١، الطبعة الثانية، بيروت.

فآمـــن أقـــوام بذاك وأيقنوا
فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل
وأنـــكر أقـــوام فزاغت قلوبهم
فزادهم ذو العرش خبلاً على خبل
بأيديهم بيض خـــفاف عصوا بها
وقد حادثوها بالجـلاء وبالصقـل
فـكم تركوا من ناشىء ذى حمية
صريعا ومن ذى نجدة منهم كهل
تبيـــت عيـون النائحـــات عليهم
تجود بأسباب الرشـــاش وبالوبـل
دعـــا الغـى منهم من دعا فأجابـــه
للغى أسبـاب مرمقة الوصـــل
فآضحوا لـدى دار الجحيم بمعزل
عن الشغب والعدوان فى أشغل الشغل

ويقول كعب بن مالك، فى قصيدة بعنوان «جزاء الكافرين» تبين موقف طغاة قريش من الدعوة، وتشرح بسالة المؤمنين وتمشى مع معركة بدر فى خطواتها حتى تصل إلى نصر الله.

عجبت لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس للّه قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً
بغوا، وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا
بأجمعها كعب جميعاً وعامر

وفينا رسول الله والأوس حوله
له معقل فيهم عزيز وناصر
وجميع بنى النجار تحت لوائه
يمشون فى الماذى والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
وقد عربت بيض خفاف كأنها
مقاييس يزهيها لعينك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
وكل يلاقى الحين، من هو فاجر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها
وكل كفور فى جهنم صائر
تلظى عليهم وهى قد شب حميها
بزير الحديد والحجارة ساجر
وكان رسول الله قد قال : أقبلوا
فولوا وقالوا: إنما أنت ساحر
لأمر أراد الله أن يهلكوا به
وليس لأمر حمة الله زاجر

ويقول حمزة بن عبدالمطلب فى قصيدة بعنوان : (اليوم الفاصل).

فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا ثلاث مئين كالمسدمة الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا بهم فى مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه مناياهم تجرى[1]

(١) ابن هشام، جـ٢، ص ١٠٧، وشعر الدعوة الإسلامية، المجلد الأول، ص٢٤٣، ٢٤٤، والمسدمة : الفحول الهائجة.

وقد اخترت هذه الأبيات من شعر الدعوة الإسلامية. . وثمة قصائد أخرى رائعة فحسان بن ثابت له قصيدة بعنوان(أصحاب القليب).

وحمزة بن عبدالمطلب له روائع بعنوان (اليوم الفاصل) وقد اخترت منها ثلاث أبيات تمثل الفارق بين القوتين. . ولشاعر مجهول أبيات فى (وقعة مذكورة).

وكعب بن مالك يعتز بعقيدته وانتصار المسلمين. . فيطلق أبياتاً تحت عنوان (ارتقبوا بدراً أخرى)[1].

وجميع ما ورد فى غزوة بدر الكبرى، يمثل ثروة لغوية وأدبية غنية بالحقائق التاريخية والمواقع الحربية. . وفيها ما يفيد الأمة. . ونحن أحوج ما نكون إلى دراسة هذه القصائد التى قيلت فى بدر من أناس شهدوا بدراً الكبرى، فاتحة الانتصارات الإسلامية. . ضد الغرور والباطل.

ومعركة بدر . . فيها قوة ضخمة وقواعد فكرية، وموضوعات برزت إلى الوجود لتكون أسلوباً فى الحياة وسلوكاً فى المجتمع.

لقد كانت غزوة بدر الكبرى فرقاناً بين الحق والباطل. . فرقاناً بين الحق والباطل فعلا. . وبمعنى أشمل وأوسع وأدق وأعمق. . الحق الذى يتمثل فى تفرد الله سبحانه وتعالى بالإلوهية والسلطان والتدبير والتقدير، وفى تفرد الكون كله سمائه وأرضه لهذه الإلوهية.

ويقصد بالباطل: الزائف الطارئ الذى كان يعم وجه الأرض إذ ذاك، ويقيم فى الأرض طواغيت تتصرف فى حياة عباد الله. ومن واقع هذين المعنيين لكلمة الحق والباطل كانت معركة بدر فرقاناً بين الحق والباطل. .

وكانت معركة بدر الكبرى فرقاناً بين عهدين فى تاريخ الحركة الإسلامية عهد الصبر والمثابرة والتجمع والانتظار، وعهد القوة والحركة والمبادرة والمبادأة والاندفاع.

وكانت معركة بدر الكبرى فرقاناً بين عهدين فى تاريخ الإنسانية. فالإنسانية قبل الإسلام هى غير الإنسانية بعد قيام الإسلام ومنهج الله الذى ارتضاه لإصلاح خلقه.

---

(١) راجع الدعوة الإسلامية، المجلد الأول، من ص ٢٣٥ - ٢٤٧.

وكانت معركة بدر الكبرى فرقاناً بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة فجرت عوامل النصر الظاهرية فى صف المشركين وجرت عوامل الهزيمة الظاهرية فى صف المؤمنين حتى لقد قال المنافقون والذين فى قلوبهم مرض (غير هؤلاء دينهم)، ولقد أراد الله أن تجرى المعركة الأولى بين المؤمنين والكافرين على هذا النحو لتكونا فرقاناً بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر والهزيمة لتنتصر العقيدة الصحيحة، ذات العدد القليل من الرجال، على الكثرة العددية ذات العتاد والسلاح ليتبين للناس أن النصر للعقيدة الصالحة لا لمجرد السلاح، وليتبين أن على أصحاب العقيدة الإسلامية أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل وأدعائه غير منتظرين حتى تتساوى القوى المادية والظاهرية لأن المؤمنين بالله يملكون قوة الإيمان بالله، وهى قوة لا تضارعها قوة فى شد الأعصاب وشحن الدماء بالتضحية والحماس.

لقد كانت معركة بدر الكبرى إشارة لتقرير حقيقة كبرى هى: أن الحق لا يحق والباطل لا يبطل فى المجتمع الإنسانى، بمجرد البيان النظرى للحق والباطل ولابمجرد الاعتقاد النظرى بأن هذا حق وهذا باطل.

بل إن الحق لا يحق ولايوجد فى واقع الناس وإن الباطل لا يبطل ولايذهب من دنيا الناس إلا بأن يتحطم الباطل ويعلو سلطان الحق.

والحديث عن معركة بدر الكبرى هو فى الواقع حديث عن مدى ما يفعله الإيمان الصادق بالله فى هدم صروح الكفر والطغيان.

والحقيقة أن الصراع فى معركة بدر الكبرى لم يكن صراعاً بين القريشيين وبين المؤمنين من أصحاب الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما كان صراعا مع الباطل فى كل مكان على وجه هذه الأرض مهما تعددت المظاهر والأشكال.

وسوف تبقى معركة بدر معيناً لا ينضب عند المؤمنين بالله سبحانه وتعالى، يستمدون منها العظة والاعتبار، ويسترشدون بضيائها فى مواجهة تحديات العصر التى تواجه المسلمين من الشرق والغرب.

***

دروس مستقاة من بدر

أولاً : أرسل الله رسوله محمد بالهدى، ودين الحق ليظهره على الدين كله وكان بقدرته -تعالى- أن ينصر الإسلام منذ الصيحة الأولى التى أطلقها محمد ﷺ فوق جبال مكة «**يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الجبل. أكنتم مصدقى؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: أنى رسول الله إليكم جميعاً**» فرد عليه ابو لهب : تباً لك ألهذا جمعتنا.

فكانت هذه الصيحة من الرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك الجواب من أبى لهب إيذاناً بتفجير المعركة بين الحق والباطل مدة عشرين سنة حتى أظهر الله الحق. وهزم الباطل ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** ﴾[**الأنفال**:٨]، وكان بقدرته تعالى منذ تلك الساعة أن يفتح قلوب قريش للنور فيدخلوا فى دينه أفواجاً، ويريح المسلمين من تلك السلسلة الطويلة من التعذيب فوق رمضاء مكة وفى شعب بنى هاشم ويكفيهم عناء الهجرة، ومفارقة الأهل والوطن.

وكان بقدرته - تعالى - أن يؤلف بينهم ويجمع أهل مكة على دعوة محمدﷺ، فيضربون فى الأرض لنشرها قبل خروج المسلمين بعشرات السنين.

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث أبداً. فلماذا تسير الأمور بهذا الطريق الوعر والله قادر على أن يسيرها فى طريق كله سهولة وراحة وأمان؟

إن الله سبحانه وتعالى وقد بعث رسوله رحمة للناس لخبير بنفوس الأجيال البشرية وتقلباتها، فلو فعل شيئاً من هذا، لما كان للحق قيمة، ولا للجنة ثمن، ولا للبشرية أمثلة حية من المثل يحتذيها ويتسابق إليها الناس، ولجاء من شياطين الأنس من يقول: إن دعوة محمد كانت تستهدف تسلط العرب على غيرهم، وأن قريشا اعتنقت دين الإسلام مدفوعة بمصالحها، ولأصبحت الجنة رخيصة يلجها الكامل النشيط، والخامل الكسول، ولما تبلورت رابطة العقيدة التى ترفض أية رابطة عداها.

ولما عرف الإيمان من النفاق، والعمل من القول، والتضحية من الدعوى الزائفة.

اختار الله للإسلام هذا الطريق الشائك الذى عبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: « حفت الجنة بالمكاره » لتكون مبادئ الإسلام عملاً حياً.

فما كان الله ليوحى هذه المبادئ أقوالاً تتنزل فى كتاب، ثم يطالب الناس بتطبيقها وما كان ليستنفر المسلمين إلى العالم يطالبون الناس باتباع الحق وحده، والاستهانة بكل شىء عداه من روابط الدم والنسب والمصالح والأرض. وأن يقاتلوا فى سبيل الله.

من هنا كان يوم بدر، بدر السماء المطل على الأرض فيضىء للبشرية ليلها المظلم بالجهل. بدر الفرقان بين الحق والباطل. بدر المؤمنين المجاهدين فى كل زمان ومكان، ليظل نبراساً لهم يمنع غواية الشياطين بالكسل والتثبيط أو اليأس والقنوط.

ومازالت أعجوبة من أعاجيب الزمن، تمد العاملين بالقوة والثبات واليقين القوى الراسخ بأن الأمر لله، وأن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شىء قدراً.

ثانياً: إن الحرب النفسية قبل المعركة قد كان لها تأثيرها الفعال فى قلوب الكفار. فيحدثنا التاريخ: « أن عاتكة بنت عبدالمطلب قد رأت رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت: يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفزعتنى وتخوفت إن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عنى ما أحدثك به، فقال لها: وما رأيت؟ قالت: «رأيت راكباً أقبل على بعير له، حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث.

فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها، ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة

فأرسلها فأقبلت تهوى، حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت (أى تجزأت أو تحطمت) فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منه فلقة»[1].

قال العباس: والله إن هذه لرؤيا.. وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد.

ثم خرج العباس، فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقا له، فذكرها له واستكتمه إياها.. متناسياً أن كل سر جاوز الاثنين شاع وذاع حتى يملأ الأسماع والبقاع. والوليد نفسه حدث أباه عتبة، ثم فشا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش فى أنديتها وأخذت تتوقع شراً أو نائبة تصيبها.. ومما لا شك فيه أن هذه الرؤيا وأمثالها أشبه بالحرب النفسية كما تسمى فى هذا العصر..

هذا ومن طريف ما يروى أيضاً.. أن قريشاً لما نزلت بالجحفة، رأى جهم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا هائلة: فقال: « إنى رأيت فيما يرى النائم وأنى لبين النوم واليقظة إذا نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ومعه بعير له ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأبو الحكم بن هشام المشهور بأبى جهل وأمية بن خلف وفلان وفلان، ثم رأيته ضرب فى لبة بعيره، ثم أرسله فى العسكر، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه لفح من دمه ».

ولما بلغت هذه الرؤيا أبا جهل قال: « وهذا نبى آخر من بنى عبدالمطلب، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا ».

وهكذا تضافرت الحرب النفسية قبل الحرب الساخنة، حيث شدت من عزائم المسلمين وقوت معنوياتهم وأوهنت من قوى المشركين وفتتت فى عضدهم.

ثالثاً: يخرج المسلمون الثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً لا يحملون إلا السيوف فى أغمادها فيجدون أنفسهم أمام أعداء يبلغون ثلاث أضعافهم مستعدين كامل الاستعداد.. فيقف المسلمون أمام هذه المصادفة العجيبة وهم يبعدون عن مدينتهم يثرب مئات الأميال حيث لا يقدرون على استنفار من فيها، فماذا يفعلون؟ وماذا

(١) راجع سيرة النبى لابن هشام.

تفعل أية جماعة تقف هذا الموقف؟ لا يملكون إلا أن يتسلحوا بالحقيقة التى وعوها، وربطوا أنفسهم بها وهى أن الله معهم أينما كانوا ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾[الأنفال:٤٢-٤٤].

إن المعركة شاخصة بمواقع الفريقين فيها، وشاهدة بالتدنى الخفى من ورائها أن يد الله تكاد ترى، وهى توقف هؤلاء هنا، وهؤلاء هناك. والقافلة من بعيد والكلمات تكاد تشف عن تدبير الله فى رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام، وفى تقليل كل فريق فى عين الفريق الآخر، وفى إغراء كل منهما بالآخر.

وما يملك إلا الأسلوب القرآنى الفريد، عرض المشاهد، وما وراء المشاهد بهذه الحيوية، وبهذه الحركة المرئية.

وذلك أن المسلمين حين خرجوا من المدينة، نزلوا بضفة الوادى القريبة من المدينة. ونزل جيش المشركين بقيادة أبى جهل بالضفة الأخرى البعيدة من المدينة، وبين الفريقين ربوة تفصلهما، أما القافلة فقد مال بها أبو سفيان إلى ساحل البحر أسفل من الجيشين.

ولم يكن كل من الجيشين يعلم بموقع صاحبه، وإنما جمعهما الله هكذا على جانبى الربوة لأمر يريده، حتى لو أن بينهما موعدا، على اللقاء ما اجتمعا، بمثل هذه الدقة والضبط من ناحية المكان والموعد.

وهذا ما يذكر الله به عباده المؤمنين ليبين لهم تدبيره وتقديره ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾.

إن الموقعة بظروفها التى صاحبتها، تحمل بينة لا تجحد، وتدل دلالة لا تنكر، على تدبير وراء تدبير البشر، وعلى قوى وراءها غير قوة البشر.

أنها تثبت لهذا الدين رباً يتولى أصحابه، متى أخلصوا له وجاهدوا فى سبيله وصبروا وثبتوا.

وإنه لو كان الأمر إلى القوى المادية الظاهرة، ما هزم المشركون ولا انتصر المسلمون.

وإن وقوع المعركة بين جند الحق، وجند الباطل، واستعلاء سلطان الحق فى عالم الواقع بعد استعلائه فى عالم الضمائر.

إن هذا كله مما يعين على جلاء الحق للعيون والقلوب. وعلى إزالة اللبس فى العقول والنفوس. بحيث يتبين الأمر بهذا الفتح، ويتجلى. فلا تعود لمن يختار الهلاك شبهة فى الحق، الذى استعلن واستعلى، كما أن الذى يريد أن يحيا لا يعود لديه شك فى أن هذا هو الحق الذى ينصره الله.

وإن هذا كله يعطى درساً علمياً للبشرية كلها: أن لا تبدد جهودها وطاقاتها فى التخطيط والإعداد، وتنسى أن تضع على رأس تدبيرها وإعدادها، التفويض لمشيئة الله.

رابعاً: من طريف ما رواه عامر بن سعد عن أبيه، قال: رأيت أخى عمير بن أبى وقاص، قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ، يتوارى فقلت له: ما بالك يا أخى؟ قال: «إنى أخاف أن يرانى رسول الله ﷺ ويستصغرنى فيردنى، وأنا أحب الخروج، لعل الله يرزقنى الشهادة».

الله أكبر لهذه القلوب الواعية، والنفوس السامية النقية، ما أعظمها وما أجلها.

قال عامر بن سعد: فعرُض على رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: «أرجع»، فبكى عمير، وعندئذ أجازه رسول الله ﷺ، وقاتل فى معركة بدر، حتى استشهد وهو ابن ستة عشر سنة.

وأخذ الناس يتسابقون فى الخروج مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وهذا سعد بن خثيمة يخرج مع أبيه، ويقول: (إنه لو كان غير الجنة آثرتك به، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا، فأجابة والده (آثرنى وقر مع نساءك)، فأبى سعد، فقال الأب: (أنه لابد لأحدنا أن يقيم، فأسهما، فخرج سهم سعد، وحقق الله أمنيته بالشهادة).

قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[الأحزاب: ٢٣].

خامساً: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: ٤٥-٤٩].

وفى هذه الفقرات القليلة تحتشد معان وإيحاءات وقواعد وتوجيهات. وصور ومشاهد. وتتشخص مواقف من المعركة، كأنها حية واقعة، وتتكشف خواطر ومشاعر وضمائر وسرائر.

إنها تبدأ بنداء الذين آمنوا فى سلسلة النداءات المتكررة للمسلمين وتوجيههم إلى الثبات عند لقاء الأعداء، وإلى التزود بزاد النصر والتأهب بأهبته.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾.

فهذه هى عوامل النصر الحقيقية كما أعربت عنها الآية الكريمة، وهى:

١ - الطاعة لله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم.

٢ - الاتصال بالله بالذكر والتوكل والاعتماد عليه وحده.

٣ - الثبات عند لقاء العدو.

٤ - الصبر على تكاليف المعركة.

٥ - تجنب النزاع والشقاق والاختلاف.

٦ - الحذر من البطر والبغى والغرور والصلف.

وإذ أن الأمر كذلك؛ فالتدبير تدبير الله، والنصر من عند الله، والكثرة العددية ليست هى التى تكفل النصر، والعدة المادية ليست هى التى تقرر مصير المعركة.

فليثبت الذين آمنوا إذن حين يلقون الذين كفروا. وليتزودوا بالعدة الحقيقية للمعركة وليأخذوا بالأسباب الموصولة بصاحب التدبير والتقدير، وصاحب العون والمدد وصاحب القوة والسلطان وليتجنبوا أسباب الهزيمة التى هزمت الكفار على كثرة عددهم وعدّتهم وليتجردوا من البطر والكبرياء والباطل. ولحترزوا من خداع الشيطان. وليتوكلوا على الله وحده. ويستعينوا به وحده.

سادساً: يقف الرسول عليه الصلاة والسلام قبيل المعركة رافعاً يديه إلى السماء قائلاً: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد على الأرض بعد اليوم أبداً**».

فلا تمضى لحظات، حتى ينزل جبريل عليه السلام على رأس وفد كبير من ملائكة السماء، وإذا بالوحى يبشر ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[**الأنفال**: ٩، ١٠].

فشحن القلوب بالثبات، وملؤها بالشجاعة، إنما هو أمر ينفرد به الله، جعله من أمره وحده، وأن نصره يهبه لمن يدعوه من الأطهار والبررة.

ولقد هيأ للمؤمنين كل أسباب الثبات والشجاعة، فأراهم من الأمثلة الواقعية لتأييده، ما ملأ قلوبهم بالاطمئنان والثقة بالنصر الأكيد.

ومن ذلك أرسل الله عز وجل عليهم النعاس، لترتاح أجسامهم المكدودة من السير فى الصحراء، ولولا الله ما نامت عيون هذه القلة المجردة من العدة ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾[الأنفال: ١١].

وأرسل عليهم المطر آية فى مكان وطريقة نزوله، فى بقعة لا ترى المطر، ليتطهروا ويشربوا، فيرون المعجزة بأعينهم وتخرج الوساس من أفئدتهم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[الأنفال: ١١].

وقلل الكافرين فى أعينهم، ليذهب روعهم، ويشد سواعدهم ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾ . .

سابعاً: إن أهل بدر يعودون شاكرين الله عز وجل لما حباهم من المغفرة والنصر فيندم مؤمنون فى المدينة، لأن الفضل فاتهم، فلم يشتركوا فيه، ويفرح مؤمنون ظلوا فى مكة يكتمون إيمانهم، ولكن روابط الأرض والثروة شدتهم فمنعتهم من الهجرة، فينزل الوحى، يواسى المحزونين الذين تخلفوا فى المدينة، بأنه لم يفتهم شىء، وينعى على الفرحين المتخلفين فى مكة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٢-٧٤].

هذا هو الإيمان الصحيح المقرون بالجهاد بالمال والنفس المصحوب بالالتفاف حول دعاة الحق وإيوائهم ونصرهم.

أما الإيمان المجرد من الجهاد، فلا يستحق ذروة أى نصرة من المسلمين ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ﴾ .

وضرورة هذا الإيمان العملى، ضمن الصف العامل لها علة هامة فأهل الكفر لا يمارسون كفرهم بشكل فردى، وإنما يتجمعون ويشنون حرباً على الإيمان وأهله لا هوادة فيها ولا لين. فإن لم يواجههم المؤمنون بإيمان جماعى حركى كذلك، تنتقل القيادة العالمية إلى أهل الكفر والإلحاد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ . .

والنتائج المترتبة على كلا الإيمانين: الفردى الخامل، والجماعى المتحرك نتائج متباينة كل التباين، فبينما يكون أصحاب الإيمان الفردى مستضعفين فى الأرض، ومعذبين فى الآخرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ . . نجد أصحاب الإيمان الحركى يوصفون بالإيمان الحق ويجزون المغفرة والرزق الكريم الذى يحفظ الكرامة، قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

ثامناً : يعلمنا الإسلام فى هذه الدروس (أن من وجد الله لم يفقد شيئاً، وإن من فقد الله لم يجد شيئاً) .

ولو قدر أن تنمر الباطل وأصحابه . . وضعف الحق وآله فما ذلك إلا فترة عابرة تتحول إلى ذكرى لذيذة، ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

تاسعاً : جاء الإسلام ليعلمنا أن الحياة قصة صراع بين الحق والباطل، وإن طبيعة هذا الصراع، طبيعة متميزة متفردة، ومن خصائصها البارزة أن جند الحق فى الفترات التى يبدون فيها ضعفاً، إنما هم فى الحقيقة أقوياء، وحين يتراءى

للبشرية أن أركان الباطل أنشبت أظافرها بأعناق جند الحق. . فما ذلك فى الحقيقة إلا تدريب أهل الحق على تحمل كل ألوان الصعاب. . ولينفضوا عن نفوسهم غبار الشهوات حتى يصبحوا فى المستقبل جنود فداء ينقضون على الباطل فى كل مكان. . والجولة الأخيرة هى الحق فى الدنيا والآخرة.

فما أعظم الدروس المستفادة من غزوة بدر. . وهى فى بساطتها وتجردها تتجلى فيها مثل من السياسة النبوية الحكيمة، ونماذج من الأخلاق الإسلامية الكريمة ويتجلى فيها الإيمان الذى تغلب على قوى الشرك والطغيان نصر المسلمون الحق فنصرهم الله على عدوهم وأيدهم بالملائكة من السماء.

هذه المعركة تعد نموذجاً فريداً للأمة المجاهدة الماجدة، ومثلاً أعلى للأجيال الناهضة من الشبيبة الصاعدة، وهى من المعارك الخالدة فى تاريخ المسلمين.

عاشراً : ما أعظم ذلك الترابط القوى بين القيادة والجند فى المعركة والاجتماع على هدف واحد كبير.

لقد كانوا يعتبرون المعركة معركتهم، غير مفروضة عليهم ولكنها نابعة من قلوبهم وإيمانهم، يستوى فى هذا المهاجرون والأنصار.

يستشير الرسول المهاجرين فيتكلم عنهم المقداد بن عمرو «يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك. . ».

ويستشير الأنصار فيتكلم عنهم سعد بن معاذ قائلاً: « فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. . ».

فهذه صورة مجتمع تتمثل فيه الشورى بأجلى وأعظم معانيها، وإذا شئت تعبيراً حديثاً أن تؤكد ديمقراطية هذا المجتمع الإسلامى الأول. تكلم أبو بكر الصديق، وتكلم عمر بن الخطاب، وتكلم المقداد بن عمرو عن المهاجرين، وتكلم سعد بن معاذ عن الأنصار، فكانت النتيجة التى وصلوا إليها، والقرار الذى اتخذوه ثمرة ومشاورة وحوار مفتوح، واستمرت هذه المشاركة الإيجابية وقالت رأيها فى (تكتيك) المعركة بعد أن قالته فى استراتيچيتها.

فعندما جاء المسلمون ماء بدر، نزلوا أدناه وتركوا أمامه عدداً من الآبار يمكن أن يستقى منها المشركون . . ورأى أهل المدينة أن المكان الذى اختاره الرسولﷺ يحتاج إلى تغيير . . فتقدم الحباب بن المنذر الأنصارى، يخاطب الرسول قائلاً: يا رسول الله . أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ولا نقصر عنه. أم هو الرأى والحرب والمكيدة . . فقال الرسول: « **بل هو الرأى والحرب والمكيدة** ».

قال الحباب : يارسول الله . ليس هذا بمنزل. ولكن انهض حتى تجعل القلب (الآبار) كلها وراء ظهرك ثم غور (أردم) كل قليب بها إلا قليباً واحد، ثم أحفر عليها حوضاً. فنقاتل القوم ونشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا.

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **أشرت بالرأى** » وفعل ذلك. ومنذ ذلك الوقت أصبح الحباب يدعى (ذو الرأى)[1].

***

(١) انظر كتاب الدين والحياة. د. عبدالعزيز كامل.

فتح مكة

انتصار الحق أمل يراود القلوب المؤمنة بعد ليل عابس، كان مقدمة لتربية شاقة وصعبة . .

والانتصار طريق يحتاج إلى الصمود، والنضال، والتضحية، والجدية فى تحمل المسئولية ولابد للحق من صعاب تقابله، ونكسات تصادفه. وتلك سنة الله والحق قوة لاتدانيها قوة.

وفى السنة الثامنة من الهجرة وفى العشرين من شهر رمضان كان فتح مكة. حيث انقضى على صلح الحديبية سنتان اثنتان وجو السلم الذى ترتب على الصلح أدى إلى ازدياد الداخلين فى الإسلام وانتشاره فى الأنحاء.

ولهذا أصاب قريشاً، قلق شديد أدى هذا القلق إلى نقض الصلح وكانت قبيلة «خزاعة» قد أفادت من الصلح فدخلت فى عهد المسلمين. . على حين دخل أعداء خزاعة «بنو بكر» فى عهد المكيين. . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اندفعت بنو بكر لتغير على خزاعة وقريش تنتصر لبنى بكر.

والتمست خزاعة الحرم. . حيث يحظر سفك الدماء، ومع هذا فقد استمر عليهم العدوان وقتل منهم عدد كبير، وقريش تساعد على العدوان وسفك الدماء، غير عابئة بصلح الحديبية وفزعت خزاعة لما حل بها، فبعث إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام «عمرو بن سام» على رأس وفد خزاعى، يستنصر الرسول، وفقاً لأحكام التحالف.

فلما قدم المدينة، وقف على النبى ﷺ وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس فقال:

يارب إنى ناشـــد محمـــــدا	حلــف أبينا وأبيه الأتلــدا
قد كنتم ولداً وكنـــا والـــدا	ثم أسلمنا فلم ننزع يـــــدا

فانصر هداك الله نصراً أعتدا | وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا | إن سيم خسفاً وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا | إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقــك المؤكـدا | وجعلوا لى فى كـداء رصـدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا | وهم أذل وأقـل عـددا
هم بيتونا بالوتير هجدا | وقتلونا ركعـاً وسجـدا[1]

كذلك أقبل بديل بن ورقاء فى جمع خزاعة. وشكا إلى رسول الله ﷺ أن قريشاً تظاهرت عليهم بالإثم والعدوان. وعلى أية حال فقد نصح رسول الله ﷺ للخزاعيين أن يعودوا متفرقين فى صمت وسكون وهدوء.

فبعث الرسول إلى قريش . . يخبرها قبول واحد من الشروط التالية:

أولاً : إما أن تدفع ديات من قتل من خزاعة.

ثانياً : وإما أن تحل نفسها من عهد بنى بكر . .

ثالثاً : وإما أن تعلن أن صلح الحديبية أمسى لاغياً[2].

وردت قريش أنها قبلت الشرط الأخير.

ولكنها أحست بالخطأ الذى وقعت فيه، غير واعية للأحداث التى غيرت مجرى الأحوال.

فأسرع أبو سفيان إلى المدينة يحاول أن يصلح ما وقع فيه القريشيون من النقض الصارخ للصلح.

بيد أن رسول الإنسانية لم يغفل عن المكيدة فلم يقبل المساومة، والحلول الملتوية.

---

(١) سيرة النبى لابن هشام، جـ٤، ص٩، طبع كتاب التحرير بالقاهرة.
(٢) حياة محمد ورسالته، ص ٢٠١ بيروت.

ولما خاب أمل أبو سفيان انقلب إلى مكة خائب الرجاء. وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالاستعداد والتجهيز، والتهيؤ للسير.

ودخل ﷺ على زوجته عائشة، وقال لها: جهزينا واخفى أمرك.. ودخل أبو بكر على ابنته عائشة، وهى تجهز رسول الله، تعمل قمحاً وسويقاً ودقيقاً.

وسألها أبو بكر عن عزم الرسول: فقالت: ما أدرى واستعجمت عليه حتى دخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، أردت سفراً؟ قال: نعم.. قال: أفتجهز؟ قال: نعم.

قال: فأين تريد يا رسول الله، فقال: قريشاً، واخفى ذلك يا أبا بكر، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأخفى عنهم الوجه الذى يريده[1].

واستمع المسلمون لأمر القيادة الإسلامية فمضوا يعبئون قواهم، ويستعدون إلى السير مع رسول الله ﷺ.

وهكذا اتخذ الرسول الاستعدادات الضرورية وكانت قريش قد اضطهدت المسلمين، وكانت قد غزت المدينة، ثلاث مرات، محاولة القضاء على المسلمين والإسلام..

وبينما المسلمون يستعدون للسير إذ برجل مسلم اسمه (حاطب بن أبى بلتعة) يكتب إلى قريش كتاباً، يخبرهم فيه بما عزم إليه الرسول وجيشه الإسلامى.

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد.

فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ «مكان» فإن بها ظعينة، معها كتاب فخذوه منها[2].

قال علىّ: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة.

---

(١) إمتاع الأسماع. الجزء الأول، ص٣٦١، بتصرف.

(٢) الظعينة: المرأة المسافرة، واسمها سارة وأعطاها حاطب فى سبيل ذلك عشرة دنانير، وقيل ديناراً.

قلنا لها : أخرجى الكتاب.

قالت: ما معى كتاب.

فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. . ؟.

قال : فأخرجته من عقاصها[1]. فأتينا به رسول الله ﷺ.

فإذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا؟

قال: يا رسول الله لا تعجل علىّ. إنى كنت أمراً ملصقاً فى قريش، وكان معك من المهاجرين من لهم قرابات يحبون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتنى من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتى، ولم أفعله ارتداداً عن دينى، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : أما أنه قد صدقكم.

فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق.

فقال رسول الله ﷺ : إنه قد شهد بدراً. وما يدريك لعل الله أطلع على من شهد بدراً. . قال:«**أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». فأنزل الله السورة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا . . .**﴾[2].

ونص الكتاب الذى بعث به حاطب مع سارة:

«أما بعد. . فإن رسول الله ﷺ ، قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم، ونجز له موعده فيكم، فإن الله وليه وناصره»[3]، وبهذا الصدد جاء قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ**

---

(١) عقاصها : أى ضفائرها.

(٢) مسلم والبخارى واللفظ له - فتح البارى، ج٧، ص٣٦٦.

(٣) تفسير القرطبى، جـ١٨، ص٥٠، وتفسير الألوسى، جـ٩، ص ٤٧.

الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[الممتحنة:١].

فالله سبحانه وتعالى يحذر فى هذه الآية من موالاة الأعداء، وجعلهم أنصاراً يوصلون إليهم أخبار الرسول، بسبب المودة التى بينهم، والصلات القديمة لأنهم كفروا بما جاءهم به الرسول من الحق، وهو القرآن والتوحيد، وضيقوا عليه وعلى أصحابه الخناق، حتى حملوهم على الهجرة وترك بلدهم، ولم ينقموا عليهم إلا إيمانهم بالله، وإخلاصهم العبادة له..

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾، هذا شرط وجوابه متقدم وهو قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

والمعنى: إن خرجتم مجاهدين فى سبيل الله تبتغون رضوان الله فلا تتخذوا أعداء الله وأعداءكم أولياء، تكتبون إليهم بأخبار الرسول ليأخذوا حذرهم. وهو سبحانه المطلع على السرائر والضمائر. ويعلم ما يخفيه العباد وما يظهرونه علانية. فمن يوال المشركين ويطلعهم على أسرار المؤمنين فقد أخطأ طريق الهدى.

ولا شك : أن حاطباً خرج عن جادة الصواب بهذا العمل، وما كان له أن يواد المشركين وهم الذين تبجحوا بالكفران، وتظاهروا على العدوان، وصنعوا بالمسلمين ما حاطب أعلم به من غيره.

لكن الإنسان تعرض له فترات، يصغر فيها، والله أبر بعباده من أن يؤاخذهم بسورات الضعف، التى تعرو نورهم فيخبوا، وسعيهم فيكبو.

وقد استكشف النبى ﷺ خبيئة حاطب، فعرف أنه لم يكذبه فى اعتذاره، إنهم مقبلون على معركة كبيرة، قد ينهزمون فيها، فتقوم العصبيات القديمة، بحماية الأقارب الشاردين، ويبقى حاطب لا حمى له فليتخذ تلك اليد عن قريش، حيطة للمستقبل.

ذاك ما فكر فيه حاطب، وهو خطأ، فإن المشركين لم يذكروا فى عداوة الإسلام رحماً ولا أهلاً.

وما ينبغى - ولو دارت علينا الدوائر - أن نبقى لهم وداً، وقد خاصمناهم فى ذات الله.. وأخذ علينا العهد أن نبذل فى حربهم أنفسنا وأموالنا..

ولو جاز يد عندهم، فكيف يتوسل لذلك بعمل يعد خيانة كبيرة فادحة الإضرار بالإسلام وأهله؟ على أن حاطباً شفع له ماضيه الكريم، فجبرت عثرته وأمر النبى ﷺ المسلمين أن يذكروا الرجل بفضل ما فيه، وبهذا التقدير السمح، علمنا الإسلام ألا ننسى الحسنات والفضائل، لمن يخطئون حيناً بعد أن أصابوا طويلاً[1].

لكن التاريخ الإسلامى تجاهل هذا الرجل إلى الأبد، فلم يسجل له شيئاً، ولم يورد ذكره فى أية صفحة من صفحاته.

وتحرك الركب الإسلامى الكبير.. الذى يقدر بعشرة آلاف من اتباع الرسول الأمين إلى مكة..

وهكذا تحققت النبوة التى انطلقت قبل ألفى عام، بين شفتى موسى: «وأتى مع عشرة آلاف من القديسيين»[2].

وليس فى التاريخ بعد موسى عليه السلام أيما حادثة أخرى تحقق بها هذه الكلمات النبوية.

يا لها من ظاهرة عجيبة لقد كان عدد المسلمين عشرة آلاف مقاتل، وكانوا فى الوقت نفسه كلهم بررة، كما جاء فى النبوة[3].

وكان الجيش الإسلامى يتحرك بسرعة، يطوى الأرض والجبال، والوهاد، غير عابئ بوعورة الطريق، ولا صعوبة السفر، همه وأمله وهدفه: إقامة دين الله ونشر عقيدة التوحيد، والقضاء على الوثنية وعبادة الأصنام، والجبت والطاغوت، وعسكر المسلمون مع نبيهم فى مر الظهران، على مسيرة يوم من مكة، وأمروا

(١) فقه السيرة، ص٤٠٧، ٤٠٨.
(٢) سفر التثنية، ٣٣: ٢.
(٣) حياة محمد ورسالته، ص ٢٠٢ بيروت.

جميعاً بأن يوقدوا النيران فى كل خيمة ومعسكر، ولاشك أن هذا الصنيع من الجيش الإسلامى يدل على الوعى العسكرى لدى المسلمين، فإيقاد النار فى الظلام بالقرب من مكة، وبهذه الصورة التى تدل على القوة، فيه أثر نفسى على نفوس المكيين، له فعاليته وقدرته، وحين تعلم مكة ومن يدور فى فلكها، بهذا الجيش الجرار، سوف تصطدم ولا تفكر فى المقاومة.

ولا شك أن القلق والاضطراب قد سرى فى مكة، منذ عاد أبو سفيان من المدينة خائباً، دون تحقيق ما كان يراوده.

ورأى العباس بن عبدالمطلب، أن يدخل فى الإسلام هو وعياله، فهاجر من مكة إلى المدينة، وقابل رسول الله ﷺ فى الطريق.

وخرج كذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله بن أبى مية فلقيا النبى ﷺ بالأبواء، وحاول أبو سفيان أن يتراضى الرسول ﷺ، وأخيراً أنشد أبياتاً جاء فيها.

لعمرك إنى حين أحمل راية — لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا المدلج الحيران أظلم ليله — فهذا أوانى حين أهدى فاهتدى

هدانى هاد غير نفسى ودلنى — على الله من طردته كل مسطرد

وعفا رسول الإنسانية عن أبى سفيان، والقلب الذى كان موصداً دون الإسلام، تفتح للحق وانشرح بدين الله.

وأصدر قائد الأمة الإسلامية بيان العفو الشامل، حرصاً على السلامة، وتجنباً لإراقة الدماء، ودلالة على القوة فى الإسلام، فما أجمل العفو عند المقدرة.

فقال ﷺ : « **من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»[1].

---

(١) ابن هشام. الجزء الثانى، ص ٢٦٨.

ولم يكتف قائد المسيرة الإسلامية بهذا البيان، بل عمل على أن يرى أبى سفيان بعينى رأسه قوة الإسلام الزاحفة كالسيل، والمعدة إعداد قوياً.

قال العباس: فخرجت بأبى سفيان حتى حبسته بمضيق الوادى، حيث أمرنى رسول الله ﷺ، ومرت القبائل على رايتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هؤلاء. فأقول: سليم.. فيقول: مالى ولسليم؟ ثم تمر به القبيلة، فيقول: يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول: مزينة. فيقول: مالى ولمزينة حتى نفذت القبائل.. ما تمر به قبيلة إلا سألنى عنها، فإذا أخبرته، قال: مالى ولبنى فلان..

حتى مر رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار، لايرى منهم إلا الحدق من الحديد.. فقال سبحان الله: يا عباس من هؤلاء: قلت: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار.

قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولاطاقة. والله يأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً.

قال العباس: يا أبا سفيان: إنها النبوة، قال: فنعم إذن[1].

وراع أبو سفيان ظهور القوة الإسلامية، فانقلب إلى قومه مسرعاً، لكى ينبئهم بما رأى، وكان قبل ذلك زعيم المعارضة فى قريش بعد أبى جهل.

ورأى أهل مكة جيوش الإسلام الزاحفة تقبل من بعيد، فالتفوا حول ساداتهم ينتظرون، فإذا بصوت أبى سفيان ينطلق عالياً ليذيع بيان رسول الله بالأمان، وأفهمهم أن كل مقاومة للرسول عبث ولا طائل من ورائه.

وزحف جنود الجيش الإسلامى، على مكة من كل جانب، وكان النبى قد جعل سعد بن عبادة، على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى.

فقالت المرأة لفارسها المعلم، فأين ما كنت تقول. فقال يعتذر لها:

إنك لو شهدت يوم الخندقة   إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالمؤتمة   واستقبلهم بالسيوف المسلمة

(١) ابن هشام. الجزء الثالث، ص ٢٦٨.

يقطعن كل ساعد وجمجة ضرباً فلا يسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة لم تنطقى باللوم أدنى كلمة[1]

وسكنت مكة، وبات الناس يرقبون الموقف موقف المسلمين من أهل مكة الذين عذبوهم العذاب الأليم، حتى كانت النيران توضع على ظهر المسلم فلا يطفئها إلا اختلاط الشحم باللحم.

وكانت الحجارة الكبيرة توضع على صدر المسلم، ووصل الأمر بتدبير خطة لقتل رسول الله.

وموقف الإسلام من هذه الحجارة الصماء التى تتزاحم فى صفوف حول الكعبة واضح.

وموقف الإسلام والمسلمين من صور إبراهيم وإسماعيل، وهما يستقسمان بالأزلام - لا يحتاج إلى بيان.

ولهذا ما كادت الجيوش الإسلامية تفتح مكة حتى تحرك رسول التوحيد، والعقيدة السامية محمد ﷺ نحو بيت الله، يطهره من الأصنام والأوثان، فكسر الأصنام وأزال الصور، وكان يردد كلما كسر صنماً قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

ومنذ ذلك الحين، لم تعرف أيما صورة أو أيما صنم طريقاً إلى جدران ذلك الحرم وأصبح بيت الله الحرام خالصاً لله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وبعد أن انتهى رسول الله ﷺ من عملية التطهير، اتجه إلى مقام إبراهيم، وصلى هناك، وعندئذ دعى عثمان بن طلحة، سادن الكعبة، وفتحت أبواب البيت الحرام، ودخله الرسول و صلى بالناس هناك، ثم أعاد المفتاح إلى عثمان.. وبين له أن سدانة الكعبة سوف تظل فيه وفى أبنائه من بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لا يأخذها منهم إلا ظالم.

(١) فقه السيرة ص٤١٣، ٤١٤.

ويصور أحد قادة الفكر، موقف الرسول من أهل مكة، معرباً عن أخلاق الإسلام فيقول: (ولم يكد سعد يمر بأبى سفيان زعيم المعارضة فيما مضى. حتى شعر بزمام القوة ولهذا صاح: اليوم يوم الملحمة.. اليوم تستحل الحرمة).

ولما بلغ ذلك رسول الإنسانية محمد رسول الله ﷺ، لم يرض عن هذا القول.

ولهذا أخذ الراية من سعد، وأعطاها لابنه قيس لكى يتجنب إراقة الدماء، وكان على خالد بن الوليد أن يدخل مكة من أسفلها، وكان يعتصم فى ذلك الحى من أسفل مكة أشد قريش عداوة للإسلام وهم الذين ساعدوا فى الحملة على خزاعة.

وعلى الرغم من الأمان العام الممنوح لجميع الناس، فإن جماعة من هؤلاء تجمعوا عند الخندمة، بقيادة عكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية.. وحاولوا أن يقاتلوا خالدا وجنوده.

إلا أن خالداً حصدهم حصداً، حتى لاذ القوم بالفرار، بعد أن قتل من هؤلاء ثلاثة عشر رجلاً، وفى رواية ثمانية وعشرون، وقد استشهد من جنود خالد بن الوليد رجلان.

وفى غضون ذلك دخل رسول الله ﷺ مكة من أعلاها، وقد رأى سيوف خالد، وهى تهوى، ولم يرض هذا، وناقش خالداً فيما حدث حتى اطمأن.

وبعد أن أتم الرسول الأمين فتح مكة ألقى خطبة أكد فيها وحدانية الله، وأخوة البشر الشاملة.

وبعد ذلك وجه الخطاب إلى وجوه قريش المجتمعين حوله..

كانوا كلهم فى وضع المذنب الجانى، فكم قد عذبوا المسلمين، ونكلوا بهم، لقد بدوا كأن ثرى مكة نفسه كان متعطشاً للدم الإسلامى.

وما كان أفظع الآلام التى أذاقوها للمسلمين منتهكين فى ذلك جميع النواميس الخلقية والتقليدية، إن مجرد ذكرى أشكال الاضطهاد الغريبة تلك ليوقع الرعدة فى قلب المرء.

ثم إن سلطانهم لم يكن مقصوراً على ثرى مكة. . بل لقد طاردوا المسلمين حيثما فروا بأنفسهم، ملتمسين مفزعاً. . لقد هاجموا المدينة مرة بعد مرة لكى يسحقوهم سحقاً. . إلى هذا الحد كانت جريمة المكيين الواقفين الآن موقف المتهم بين يدى الرسول.

وكانوا بما تكشفوا عنه، من حقد، وانتقام، وتنكيل بالأبرياء يستحقون أقصى عقوبة من عقوبات العبرة، نص عليها أكثر قوانين العالم رحمة.

ومن واقع هذه الأمثلة الحية. . ندرك أن الفتح كان نصراً كبيراً، والعفو الممنوح، كان فتحاً أعظم بكثير فتحاً وراء متناول أسلحة الجيش الإسلامى، لقد أسر قلوب الناس، وعفوه ورحمته. . أدى كل ذلك إلى تجريد المعارضة على اختلاف ضروبها ومشاربها. . ونفذت الحقيقة الإسلامية إلى أعماق القلوب.

وعرف الناس أن دين الله حق، وكم حاولوا إبادته، ومحوه من الأرض وقتل رجاله، ولم يفلحوا.

وهذا الإسلام يأتى إليهم منتصراً، وليكون له فى نفوسهم أثر فعال، بعد أن عرفوا أنه حق وأنه من عند الله، ولا يمكن إطفاء شعلته، ويبدو أن هذا الذى جعلهم من أكبر رجال الإسلام وأشدهم جهاداً فى سبيله، حتى فتحوا الدنيا، وعزوا اوسادوا.

ويقول عمر بن الخطاب فى أبيات له(1).

ألم تر أن الله أظهر دينه	على كل دين قبل ذلك حائد
وأمكنه من أهل مكة بعدما	تداعوا إلى أمر من ألغى فاسد
غداة أجال الخيل فى عرصاتها	مسومة بين الزبير وخالد
فأمسى رسول الله قد عز نصره	وأمسى عداه من قتيل وشارد

(1) انظر: زهر الأداب للحصرى القيروانى، الجزء الأول، ص٤٢، تحقيق زكى مبارك، الطبعة الثالثة، ١٣٧٢هـ.

والباحث والمفكر والدارس يستخرج من فتح مكة كثيراً من الدروس المستفادة. والمسلمون فى حاجة إلى هذه الدروس، لينطلقوا من خلالها إلى المسيرة الإسلامية ومواجهة تحديات العصر. ومن تلك الدروس.

١ - حركية المسلمين، وفعاليتهم مع الدعوة المتحركة التى لا تعرف الجمود والخمود والخمول.. وكانت هذه الحركية اليقظة.. تلبى نداء الرحمن فى أى وقت، ولأى ضرب من ضروب الحياة التى يرضاها الله.

وتوطدت دعائم الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة، وتلألأت فى الأفق بنداء الحق الذى بدأ يشع فى الأرجاء. وكان المسلمون أهلاً لأمر رسول الله ﷺ بالتجهيز والاستعداد، والحرص، واليقظة.. وقد دربوا أنفسهم فى دولة الإسلام، وشهدوا المواقع الحربية، مع رسول الله ﷺ .. واعتزوا بالإسلام اعتزازاً يفوق كل اعتبار ومع كل هذا فلم يتخلفوا عن طاعة محمد عبدالله ورسوله الذى أرسله رب العزة بدين الحق ليظهره على الدين كله.

وحركية المسلمين وتفاعلهم مع مسيرة الدعوة كانت الأسس التى أدت إلى اطمئنان الرسول الأمين على المسيرة الإسلامية، الزاحفة كالجبال فى الجبال.

٢ - التفاف الجنود حول القيادة.. دافع قوى من دوافع الخير التى يطمئن إليها القائد.. وتتوفر طاعة القيادة العليا.. حينما تكون القلوب مشحونة بالإيمان الصادق والإخلاص لله.

وحينما تكون القيادة ذاتها مثلاً أعلى فى التفانى والتضحية والدعوة إلى الله وإلى الحياة السليمة.

وهذا يحتاج إلى التربية الإسلامية التى تملأ الأفئدة بنور الحق، فتحيل الناس إلى أشخاص أفذاذ فوق العادة، ولاشك أن المسلمين، قد تعلموا فى مدرسة القرآن الكريم حسن الطاعة، وتلبية النداء. والتضحية، وحب الاستشهاد فى سبيل الله.

هانت فى أعينهم الدنيا، وكان الاستشهاد أحب إليهم من الحياة.

إن مدرسة القرآن الكريم فيها دروس وعظات للشباب. وما أجدر التلاميذ الذين تتلمذوا على يد المصطفى ﷺ، ونهلوا من إرشاداته.. ما أجدرهم أن يكونوا أهلاً لتحمل المسئولية، وطاعة القيادة.. وقد كانوا فعلاً أبطالاً للفتح ولدين الله.. وخرجوا مع رسول الله يطوون الأرض والجبال والوهاد، غير عابئين بمشاق السفر وصعوبة الطريق.

وهكذا تكن الجندية المخلصة للأمة.

٣ - حرص الرسول ﷺ وأصحابه على سرية تحرك الجيش الإسلامى، وكان رجال الإسلام ينفذون تعاليم الرسول ﷺ بدقة.. وهذه عائشة رضى الله عنها تخفى عن أبيها الأمر.. حتى يقول له قائد الجيش محمد ﷺ بالخطة وكان الجنود أحرص على حفظ ما يعرفون من أمور التحرك.

ولهذا حينما علم عمر بفعل حاطب بن أبى بلتعة من إفشاء سر التحرك إلى زعماء مكة.. حاول أن يأخذ الإذن من الرسول ﷺ بضرب عنق حاطب.

ولكن الرسول ﷺ منع عمر بن الخطاب من ذلك وعفا عن حاطب.

ويكفى أن التاريخ الإسلامى تجاهل هذا الرجل الذى حاول أن يفشى أسرار التحرك ومحاولة عمر قتل حاطب، وتجاهل التاريخ لذكر حاطب ليدلان على فداحة وجرم من يحاول أن يفشى أسرار معارك المسلمين.

ويدلان أيضاً على أن جنود الأمة يجب أن يكونوا على مستوى تحمل المسئولية ويكونوا رجالاً، يقدمون مصلحة الأمة على الأهل والمال.

ومما لا شك فيه أن الحفاظ على سرية التحرك كان من عوامل صيانة الدماء واستتباب السلام، وانتصار المسلمين.

٤ - التخطيط الدقيق القائم على الوعى واليقظة.. دليل على كبر المهمة، وعلو القدر وبعد النظر.

فقد خرجت الجيوش مقسمة إلى أقسام، وسارت فى الجبال غير بعيدة عن بعضها وتملأ الأرض كلها.

وحينما شاهد أبو سفيان هذه الجيوش، وسيوفها تلمع.. هاله الأمر..

ولاتنسى أن إيقاد النار على مساحة من البشر قدرها عشرة آلاف من الجنود، فى ظلام الليل الحالك، كان باباً من أبواب وسائل الحرب النفسية. . التى أحبطت عزائم القوة وحيرتهم فى أمر هذه النيران التى لم يشهدوا مثيلاً لها من قبل. . ودخول الجيوش الإسلامية مكة من جهات مختلفة، يعطى درساً فى التنظيم والدقة.

وكان القائد ورجاله يدخلون مكة من أعلاها وهم يرون بقية الجيوش الزاحفة.

إن هذا كله يعطينا أمثلة حية على أن المسلمين أغنياء بفكرهم وثقافتهم وعقيدتهم فليسوا فى حاجة إلى استيراد نظم وأفكار أجنبية، لا تتفق مع الفكر المؤمن بالله، والمسترشد بهدى الحق.

ولاشك أن مشاهدة أبو سفيان للجيوش الإسلامية وهى تمر بأسلحتها وألويتها. . لاشك أن هذه كانت ضمن خطة إعلامية خطيرة. . فقد قفل أبوسفيان راجعاً ليعلم القوم: أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيش الزاحف، ولا فائدة من الحرب.

٥ - كان أول شىء يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام بعد دخول مكة. . هو تكسير الأصنام وإزالة معالم الوثنية، والجاهلية، وبهذا قضى رسول الله على أهم معاقل الجاهلية والتخويف. . ليعيش المسلم وقد صفا قلبه لله. . ويحيا وقد طهر من رجس الإلحاد.

وهذا يدفع المسلمين أن يكونوا حراساً للعقيدة الإسلامية التى جاءنا بها القرآن الكريم فلا معبود إلا الله. . ولا يصح للمسلم أن يستعين أو يدعو أو يركع أو يسجد إلا لله لأن الإسلام يأبى على المسلم أن يخضع أو يعتقد فى الجبت والطاغوت.

٦ - الإسلام دين السلام، يسعى إليه، ويعمل من أجله. . واتهام المستشرقين للإسلام بأنه دين انتشر فى ظل السيف. . اتهام باطل. . يدل على التعصب الأعمى والحقد الدفين، والجهل بواقع التاريخ الإسلامى.

وهذا فتح مكة. . يتم فى ظل السلام الذى سعى إليه الرسول ﷺ وكان فى إمكان الجيوش الإسلامية أن تبيد أهل مكة الذين طالما عذبوا المسلمين وحاولوا القضاء عليهم وهم فى المدينة ثلاث مرات.

وهم الذين دفعوا بالمسلمين إلى الهجرة، وترك الديار والأموال، وهم الذين خططوا لقتل الرسول والخلاص منه. .

ومع ذلك فلم تحاول الجيوش الإسلامية. . أن تثير أياً من هذا، ولم تفكر قط فى الانتقام.

بل دخلت الجيوش الزاحفة وهى أحرص على السلام. . ولما أخذت القوة مأخذها من قائد. . فصاح اليوم يوم الملحمة. . كان هذا القول دافعاً إلى عزله وتنحيته.

وقد أسف الرسول الأمين لما حدث مع خالد من مناوشة بعض الناس له.

إن الإسلام حريص على السلام. . والدليل القاطع على ذلك فتح مكة. . فهو فتح من أجل الحق. . وفى سبيل العقيدة. . فتح يطيح بالأصنام ويحافظ على كرامة الإنسان. . فتح يطهر بيت الله الحرام، ويجعله خالصاً للطائفين والركع والسجود.

وكان أيضاً فى إمكان الجيوش الإسلامية أن تدخل الناس قسراً فى الإسلام. . ولكن الرسول ﷺ. . لم يجبر أحداً على الدخول فى الإسلام. . وإنما جعل ذلك طواعية واختياراً وتوافد الناس على الدخول فيه بعد أن عرفوا أن وعد الله حق، وأن دين الله حق، وأن الله متم نوره ولو كره الكافرون والمشركون.

إن المسلمين كانوا يملكون زمام القوة. . ومع هذا فلم تخرجهم دوافع القوة عن صيانة النفوس، والحفاظ على الدماء من أن تراق. . وأيضاً لم يندفعوا ليبطشوا فى عتو وضلال وتجبر. . بل أقبلوا على أهل مكة فى تواضع وخشوع لله وحده. . وهم يرددون كلمات الحق، والدعوة إلى الله. .

وأصدر رسول الإنسانية قبل دخول مكة بياناً بالأمان.. ولم يكن البيان خدعة للناس لاستعمار البلاد وامتصاص خيراتها.. وإنما كان البيان حقيقة أثبتها التاريخ.. وبعد أن تم الفتح أصدر القائد بياناً آخر بالعفو العام.. وكان البيان الأول والثانى.. وثيقتين من أعظم وثائق الحفاظ على الإنسان.. ونشر الإسلام فى أركان الدنيا، فهل يقول بعد هذا أحد: إن الإسلام انتشر بالسيف.. إن الإسلام دين جاء لإصلاح أحوال الإنسانية حتى لا تطغى وتتقاتل وتضل الطريق.

٧ - الشئون الإدارية جزء من أعمال القيادة العسكرية تختص بإدارة وتحرك الجيوش أثناء المعركة وقبلها وتزويدها بأصناف التموينات الضرورية، كالإعاشة بالأرزاق وما يحتاجه الأفراد من تطبيب ورعاية وما تتطلبه المعركة من سلاح وذخيرة ووسائل نقل.

وفى العصر الحديث أصبحت الشئون الإدارية مبدأ من مبادئ الحرب الحديثة.. وكثيراً ما يعبر فى الدراسات العسكرية عن الحربين العالميتين بحرب الشئون الإدارية.. وقد اختصر نابليون أهميتها فقال: «إن الجيوش تسير على بطونها»..

والشئون الإدارية فى المعركة.. وإن كانت حديثة الشكل، جديدة المظهر والتبويب.. إلا أنها أصيلة الجوهر عميقة الجذور فى التاريخ..

غير أنها تختلف من عصر إلى عصر كما تتغير وسائلها من أمة إلى أمة أخرى.

وفى غزوات الرسول ﷺ نجد معظم الشئون الإدارية متوفرة فيها.. كما نجد المسلمين قد طبقوا الاقتصاد، والمرونة والبساطة التى تعتبر أهم مبادئ الشورى اليوم[1].

وفى فتح مكة تأمنت كافة الشئون الإدارية.

---

(١) مجلة الجندى المسلم، ص ١٦، العدد الخامس من السنة الأولى، وزارة الدفاع والطيران السعودية.

فمنذ تحرك الجيش الإسلامى وهو يعتمد على غذاء متوافر، فقد كان الجيش يأكل اللحم الطازج حينا، واللحم المقدد حينا آخر. إضافة إلى التمور والسويق.

وكانت الدواب تعتمد على النوى وما يتبقى من السويق بالإضافة إلى الأعشاب الموجودة فى الأرض.

ووسائل النقل فى فتح مكة، كانت متوفرة ومعدة إعداداً يتفق مع قدرة الجيش الزاحف.. فقد كان لدى المسلمين كما جاء فى (الكامل لابن الأثير)، ما يقرب من خمسة آلاف بعير، وألف فرس.

وكان ثلاثة أرباع الجيش راكباً.. أما المشاة فكانوا يتعقبون الركوب مع إخوانهم.

وقد توفر للمسلمين فى فتح مكة السلاح اللازم، فقد أعد لكل جندى سيف ورمح ومجن وجعبة للنبال.. ومعظم الجنود كان يلبس السابغة والخوذات الحديدية حتى قال أبو سفيان حينما رأى هؤلاء « سبحان الله من هؤلاء».

والواقع أن المسلمين كانوا على أتم استعداد، وأحسن قوة مستطاعة لإيمانهم أن القوة أضمن طريق لإحقاق الحق.

٨ - إن الروح المعنوية أقوى سلاح عرفته الإنسانية فى حروبها الطويلة..

وصفحات التاريخ الإسلامى سجلت قوة الروح المعنوية، للجيوش الإسلامية التى خاضت المعارك فى سبيل الله.

وقوة الروح المعنوية عامل من عوامل انتصار المسلمين حتى ولو كان عدوهم يفوقهم عدة وعدداً.

والمتأمل فى تاريخ الحروب كلها.. يجد أن قواد الأمم والجيوش يضعون قوة الروح المعنوية فى المكانة العليا، بين القوى التى يدفعون بها فى وجه الأعداء.. وهى ولا شك تختلف من أمة إلى أمة ومن عصر إلى عصر، والذى لا شك فيه أن لها فاعليتها وثقلها.

وقد كانت الجيوش الإسلامية فى فتح مكة على روح معنوية رائعة . . تجلت هذه الروح فى تحرك المسلمين واستعدادهم، وإيقادهم النار لإرهاب الأعداء وتثبيط هممهم، وتجلت فى التنظيم والألوية والرماح والأسنة التى كانت ترفرف وتلمع فوق الرؤوس.

وتجلت فى دخول مكة من جهاتها المختلفة.

إن الاهتمام بالروح المعنوية يقوم أساساً على حب الاستشهاد فى سبيل الله ونكران الذات، والتضحية، وأن تتوفر للجيوش الإسلامية الروح المعنوية القائمة على أساس أن الإقدام لا ينقص عمراً والإحجام لا يطيل أجلاً . . يومها سوف ينتصر المسلمون.

والحمد لله قرآننا مليء بشحنات الروح المعنوية . . قال تعالى﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة:١١١].

يقول ابن القيم: «فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيها استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد، وأكد هذا بأنواع من التأكيد . .

أحدهما : إخبارهم بصيغة الخبر المؤكد بأداة (إن).

الثانى : الإخبار بذلك بصيغة الماضى الذى قد وقع وثبت واستقر.

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذى اشترى هذا البيع.

الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه.

الخامس: أنه أتى بصيغة «على» التى للوجوب. إعلاماً لعباده. بأن ذلك حق عليه أحقه على نفسه.

السادس : أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه.

السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد، وأنه فى أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار، وانه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد، ويبشر بعضهم بعضاً.

العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذى بايعوه هو الفوز العظيم.

فالله سبحانه وتعالى بهذه الآية وما جرى مجراها فى القرآن الكريم، يستثير الهمم لإعلاء كلمة الله، ولحماية الضعفاء، وتخليص المظلومين.

وفى الآية تشجيع على خوض المعامع، ومقابلة الموت بصدر رحب وقلب ثابت. ولا يوجد ما يثبت الإنسان كالعقيدة.. إنها النور الذى يضىء الطريق.. والقوة التى تحمى المسلم من الضعف أو الإدبار.

ولهذا يعبر أحد المسلمين فيقول:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً   على أى جنب كان فى الله مصرعى

٩ - وعد الله عباده المؤمنين بالنصر فقال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾[النور:٥٥].

من هذا النبع الصافى انطلق المسلمون فى ظل العقيدة الإسلامية.. يصنعون الأعاجيب فى دنيا الإنسانية، ويحققون الانتصارات الرائعة، ويفتحون القلوب بنور التوحيد وينشرون فى أركان الدنيا العدل، ويحقون الحق، ويسحقون الباطل والطغيان، ويقيمون أمة القرآن، لتكون خير أمة أخرجت للناس.. إن المسلمين العاملين فى الحقل الإسلامى.. موصولون السبب بالله، يستمدون منه القوة.

إنهم جنود الله وجند الله هم الغالبون.

إنهم حزب الله وحزب الله هم المفلحون.

لقد كان هؤلاء يدخلون غمار الحروب لا يلوون على شيء . . وقول الله تبارك وتعالى واقع فى قلوبهم ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[**آل عمران**: ١٦٩] .

فالجنود فى الإسلام كاسبون . . إما موت وشهادة، وإما نصر وعزة، وفى كلا الحالتين أجر عظيم، وثواب كبير . .

١٠- إن الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه قد استعمل فى الغزوات أسلوباً علمياً يعد من أعظم الأساليب فى الحروب.

ومن هذا التصميم على الغرض فالرسول وضع نصب عينيه فتح مكة ولم يتحول عنها وقد قرر أن يدخل مكة، فلما جاء إليه أبو سفيان . . يطلب مد مدة الصلح الذى بينه وبين قريش . . رأى الرسول ﷺ . . أن فى ذلك المد تعطيل للغرض . . ولهذا لم يوافق أبا سفيان فيما دعا إليه.

ومن هذا . . قرر أن يدخل مكة دون قتال أو إراقة دماء . . ولم يقبل أن يكون الفتح يوم الملحمة . . وحينما شاهد خالداً وهو يحارب فى الجبهة الجنوبية غضب ودعاه إلى إيقاف الحرب . . وقال حين علم بتفاصيل ما حدث «إن الخيرة فيما اختاره الله».

ومن هذا أيضاً . . أن الرسول عليه الصلاة والسلام . . كان يسعى إلى نشر الإسلام والقضاء على الوثنية والأصنام، ولهذا حطم الأصنام فى الكعبة . . ثم أمر بهدم كل صنم فى داخل البيوت . . وبعث السرايا لهدم الأصنام خارج مكة.

***

فضل الاجتهاد فى العشر الأواخر من رمضان

فى العشر الآواخر من شهر رمضان فضائل عديدة وخصائص عظيمة، فمن خصائصها أنه ﷺ كان يجتهد فيها أكثر ما يجتهد فى غيرها، وهذا شامل للاجتهاد فى جميع أنواع العبادة من صلاة وقراءة للقرآن وذكر ودعاء وصدقة وغير ذلك. . ففى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يجتهد فى العشر الآواخر ما لا يجتهد فى غيره، وفى الصحيحين عنها قال: كان النبى ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. . إشارة إلى اعتزاله النساء وتفرغه ﷺ للذكر والصلاة إحياء ليله بالقيام والقراءة، والذكر بقلبه ولسانه وجوارحه لشرف هذه الليالى طلباً لليلة القدر التى من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه. . وفى المسند من وجه آخر عنها رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العشر يعنى الآخيرة شمر وشد المئزر».

ويتعين قيام العشر الآواخر تلمساً للخير فيها، ولكون ليلة القدر بها كى يحظى بجائزة الرب سبحانه فقد قال ﷺ: « **من أتى عليه رمضان صحيحاً مسلماً صام نهاره، وصلى ورداً من ليله، وغض بصره، وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته فى الجماعة، وبكر إلى جمعه، فقد صام الشهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر، وفاز بجائزة الرب عز وجل**».

وفى أفضيلة العشر الآواخر أخرج الطبرانى من حديث على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يُطيق الصلاة، وقال سفيان الثورى: « أحب إلى إذا دخل العشر الآواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، ويُنهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك».

فاعلم أنه يتجمع للمؤمن فى شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى

بحقوقهما وصبر عليهما، وفُى أجره بغير حساب، وهذا الجهاد فى هذه الليالى العشر المباركة بالقيام والقراءة والدعاء هو دأب سلفنا فى كل زمان، وقد كان من دأبهم كذلك استحباب الاغتسال كل ليلة من ليالى العشر الأخيرة ومنهم من كان يغتسل ويتطيب فى الليالى التى هى أرجى لليلة القدر - كما قال - ابن جرير الطبرى وعن أنس أنه كان يفعل ذلك ليلة أربع وعشرين، ويلبس حلة إزاراً ورداء، فإذا أصبح طواها فلا يلبسها إلى مثلها من قابل.

وبهذا ينبغى فى الليالى التى ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب وباللباس الحسن، كما شرع ذلك فى الجمع والأعياد، وشرع ذلك أيضاً فى سائر الصلوات، كما قال الله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾[**الأعراف**:٣١]، وقال ابن عمر: الله أحق أن يتزين له. ثم تزيين الظاهر لايكمل بل لايعتد به إلا مع تزيين الباطن بالإنابة إلى الله تعالى، وتطهير النفوس من خبائث الذنوب والشهوات، ومن ثم قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾[**الأعراف**:٢٦].

إنه لمن الحرمان العظيم والغفلة ألا ينتفع المسلمون بفضل هذه الليالى العشر، وتمضية الوقت أو معظم الليل فى اللهو الباطن فإذا جاء وقت القيام ناموا عنه، وفوتوا على أنفسهم خيراً كثيراً لعلهم لا يدركونه بعد عامهم هذا أبداً، وهذا من تلاعب الشيطان بهم ومكره بهم وصده إياهم عن سبيل الله واغوائه بهم ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾[**الحجر**:٤٢]، والعاقل لا يتخذ الشيطان ولياً من دون الله مع علمه بعبادته له ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا** ﴾[**الكهف**:٥٠].

ومن خصائص هذه العشر أن النبى ﷺ كان يعتكف فيها والاعتكاف هو لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله عز وجل وهو من السنن الثابتة بكتاب الله تعالى: ﴿ **وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾[**البقرة**:١٨٧].

وقد اعتكف رسول الله ﷺ واعتكف أصحابه معه وبعده، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ اعتكف العشر الآواخر من رمضان ثم

اعتكف العشر الأوسط ثم قال: «إنى اعتكف العشر الأول التمس هذه الليلة ثم اعتكف العشر الأوسط ثم اتيت فقيل لى: أنها فى العشر الآواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» [رواه مسلم].

اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك، وأطعمهم دوام إفضالك ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك وتيقنوا أن لا غنى لهم عن سؤالك اللهم اغفر لنا ذنوبنا قطعتنا عن بابك وجُد علينا وهب لنا ما وهبته لأحبابك فأنت أكرم الأكرمين.

***

ثمـرات الصيام

إن ثمرات الصيام كثيرة فهناك صحة الأبدان، فقد ورد فى الحديث الذى أخرجه الطبرانى من حديث أبى هريرة «**اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا**» فالصوم يذهب بفضلات الجسم، ويصفيه من رواسب السموم، ويعالج كثيراً من الأمراض المستعصية خاصة ما يتصل بأمراض المعدة. . ثم أمراض الدم، ثم الأمراض النفسية الأخرى التى يسهم الصيام فى علاجها وإعادة توازن المسلم مع نفسه من خلال الالتزام بالطاعات فى أوقاتها، وتنقية النفس من أدرانها.

وهناك إجابة الدعاء، وذلك من علامة اللطف والاعتناء، فقد ورد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى خرجه ابن ماجة «**ثلاث لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم؛ يرفها الله دون الغمام ويقول لها. وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**».

وهناك فرح الصائم بصيامه فهناك فرحتان له فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، أما فرحه عند فطره فيفرح بما أنعم الله عليه من القيام بعبادة الصيام الذى هو من أفضل الأعمال الصالحة، وأما فرحه عند لقاء ربه فيفرح بصومه حين يجد جزاءه عند الله تعالى حين يقال: أين الصائمون ليدخلوا الجنة من باب الريان الذى لا يدخله أحد غيرهم.

ومن ثمراته كذلك أنه يشفع الصيام لصاحبه يوم القيامة كما ورد فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قائلاً: « **أى رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه**».

وهناك تهذيب الجوارح وصيانتها عن الاسترسال فى المخالفات وهذا هو أعظم ثمرات الصوم بل هو الأصل فى تحقيق المعنى فإن النفس إذا ذاقت ألم الجوع انقادت وأذعنت واشتغلت بما هى فيه عن امتداد أملها إلى الفكر الدنية، فتسكن جوارحها عن الحركات الردية وتمتنع عن انتهاك المحارم المردية فيأتى كف الجوارح

(العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل)، ومن معانى الحياء والاستقامة حفظ هذه الجوارح وصومها عن الباطل والأذى.

وهناك المباهاة به يوم القيامة، مما ورد فى الأحاديث الصحيحة «**إن الله سبحانه وتعالى يقول ياملائكتى انظروا إلى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى**».

ومن ثمرات الصيام كذلك خذلان أعوان الشيطان، ونصر أحباء الرحمن؛ فإن كثرة الأغذية مما يقوى مذموم الشهوات. ومن ثمراته رقة القلب وغزارة الدمع، وذلك من أسباب السعادة، ومن ثمراته كذلك تدريب المسلم على قيام الليل والإكثار من الصدقات واعتياد المساجد والتفطن إلى تعاقب الليل والنهار، وهما من آيات الله.

وهناك الشعور بالتغيير الذى يجده الصائم، هذا التغيير فى قوة عزيمة المسلم وسيطرته على شهواته ومكابدة المشاق والآلام؛ فيحدث انقلاب داخل الصائم الذى يعتاد من قبل على أوقات للطعام، فإذا به الآن يتغلب على ذلك ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾

[**النور**: ٥١]

وهناك تكفير الذنوب، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﷺ «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، وفيها أيضاً من حديث أبى هريرة «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»، وما خرجه مسلم من حديث أبى هريرة، «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**».

وهناك العتق من النار فرمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، ولله عز وجل فى كل يوم من شهر رمضان عند طلوع الشمس عتقاء يعتقهم من النار عبيداً وإماء، كما تواترت الأحاديث على ذلك. وتأتى مغفرة الله تعالى لهم جميعاً فى آخر الشهر ففى آخر ليلة من رمضان يغفر الله لهم جميعاً.

وهناك حديث جامع لهذه الفضائل والثمرات، وهو حديث سلمان المرفوع **«من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه»**، وما خرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **«أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم يعطها أمة غيرهم...»**الحديث.

اللهم لا تردنا خائبين.. ولا من عطاياك مفلسين، ولا عن بابك مطرودين، وآمنا من فزع يوم الدين يا أرحم الراحمين.

***

وداع رمضان، والتأسف لذهابه

لقد عشنا نفحات رمضان، واغتنمنا الأوقات الطيبة فى عمل الطاعات، فها نحن نودع شهر الصيام، وعلينا أن نتذكر أن رمضان جاء، وها هو يذهب وقد طوى دفاتره، ومن فاز فيه بالصالحات نجا وأفلح، وضاعف الله له الأجر، ومن خسر وأفلس فقد أفلت من يديه خير عظيم، قلّ أن يتكرر مرة أخرى؛ لأن المرء لا يدرى فقد يأتى رمضان القادم، وقد طويت صفحة حياته.

والفائزون يريدون أن يتمهل الشهر فى الرحيل، فمازالوا من خيره ينهلون، وإلى رحماته يتطلعون بعدما عاشوا أيام الرحمة فى أوله، وأيام المغفرة فى وسطه، وأدركوا العتق من النار فى آخره.

فياشهر رمضان، ويا شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، ويا شهر التجاوز والغفران، ويا شهر الربح والتجارة مع الله، وياشهر العتق من النيران أقول لك:

سلام على شهر الصيام فإنه ... أمـان من الرحمة كل أمـــان

عليك سلام الله كن شاهدا لنا ... بخير رعـاك الله من رمضـــان

اعملوا رحمكم الله أننا فى أيام الوداع لشهركم الذى شرفه الله وعظمه ورفع قدره وكرمه بالصيام والقيام، وتلاوة القرآن الكريم، ونزول الرحمة عليكم من الله والرضوان، جعله الله مصباح العام، وفتح فيه للتائبين أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع، ولا خير إلا مجموع، ولا ضر إلا مدفوع، ولا عمل إلا مرفوع، الظافر الميمون من اغتنم أوقاته، والخاسر المغبون من أهمله ففاته.

شهر جعله الله لذنوبكم تطهيراً، ولسيئاتكم تكفيراً، ولمن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونوراً، ولمن وفى بشرطه وقام بحقه فرحاً وسروراً. . شهر تنزل فيه البركات، وتعظم فيه الصدقات، وتكفر فيه السيئات، وتقال فيه العثرات، وترفع فيه الدرجات، وتسكب فيه العبرات.

فياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه بحسن عمله، أم ليت شعرى من المطرود منا فنعزيه بسوء عمله. . فأيها المقبول هنيئاً لك بثواب الله عز وجل ورضوانه، ورحمته وغفرانه، وقبوله وإحسانه وعفوه وامتنانه ويأيها المطرود بإصراره وطغيانه، وظلمه وعدوانه، وغفلته وخسرانه وتماديه وعصيانه لقد عظمت مصيبتك بغضب الله سبحانه فأين حسابك لنفسك؟ وأين ما ادخرته ليوم عرضك؟

ووجب عليكم رعاكم الله أن تحمدوا الله تعالى على أن بلغكم اختتام الشهر الكريم، واعلموا أنكم فارقتكم شهراً عظيماً فتدبروا أين الصوام القوام الموافقون لكم فى سالف الأعوام؟ وأين من كانوا معكم ليالى رمضان شاهدين، وفى كل حق لله كانوا عاملين؟ فقد أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات.

فرحم الله امرءاً مهد فيه لنفسه قبل حلول وفاته، واشتغل بيومه عن غده وأمسه وتزود من بقية زاده ففى نفاده نفاد عمره، ورحم الله امرءاً أظهر لفراق شهره جزعه وسلم على شهره وودعه.

لقد من الله عليكم بالمغفرة فى رمضان «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**»، كما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه وقد كفر الله عنكم سيئاتكم ففى المسند أنه ﷺ قال: « **من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يحفظ منه كّفر ذلك ما قبله**».

وقد من الله عليكم بتوفيه الأجر فى آخر الشهر، والعتق من النيران، وباستغفار الملائكة لكم فهذه نعم عظيمة تستوجب أداء حقها من الشكر للّه تعالى.

أخى المسلم

اجعل أيامك كلها رمضان، ومن منع نفسه فى شهر رمضان من الحرام، فليمنعها فيما بعده من الشهور والأعوام، ومن حافظ على الصلوات وأداء الصدقات والإكثار من الدعوات فليفعل ذلك فى كل الحالات، فى كل الشهور فإله الشهرين واحد، وهو على كل الأزمنة مطلع وشاهد، وجزانا الله وإياكم خيراً على فراق شهر البركة.

اللهم ما قسمته لنا في آخر الشهر من عتق وغفران، ورحمة ورضوان، وعفو وامتنان، وكرم وإحسان، ونجاة من النيران، وخلود في نعيم الجنان، فاجعل لنا منه أوفر الحظ، وخصنا فيه بالفضل والإكرام، وتقبل منا ما قدمناه من الصيام والقيام.

***

بيان
بالأحاديث النبوية التى وردت فى شأن الصوم

- أحاديث فى فضل الصيام.
- أحاديث فى رؤية هلال شهر رمضان.
- أحاديث فى فضل تعجيل الفطر، وتأخير السحور.
- أحاديث فى فضل السحور.
- أحاديث فى وقت السحور.
- أحاديث فى فضل تلاوة القرآن الكريم فى رمضان.
- أحاديث فى فضل الجود فى رمضان.
- أحاديث فى ذكر العشر الأوسط من شهر رمضان، وغزوة بدر الكبرى.
- أحاديث فى ذكر العشر الآواخر من رمضان.
- أحاديث فى فضل ليلة القدر.
- أحاديث فى فضل الاعتكاف.
- أحاديث فى وداع رمضان.
- أحاديث فى أبواب الدعاء فى رمضان.
- أحاديث فى فضل زكاة الفطر.
- أحاديث فى دعاء القنوت.
- أحاديث فى دعم ختم القرآن الكريم.

١ - فضل الصيام

* ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**كل عمل ابن آدم له؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**».

* وفى رواية: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لى**». وفى رواية للبخارى: «**لكل عمل كفارة والصوم لى وأنا أجزى به**»، وخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه، ولفظه: «**كل عمل ابن آدم له كفارة إلا الصوم، والصوم لى، وأنا أجزى به**».

* وفى حديث آخر عنه ﷺ قال: «**الصوم نصف الصبر**» خرجه الترمذى.

* وفى حديث سليمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه فى فضل شهر رمضان «**وهو شهر الصبر، والصبر ثوابة الجنة**».

* وفى الطبرانى عن ابن عمر مرفوعاً «**الصيام لله لا يعلم ثواب عمله إلا الله عز وجل**»، وروى مرسلا وهو أصح.

* عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**»، وخرج منه البخارى، وذكر فتح أبواب الجنة.

* وللترمذى وابن ماجة عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى منادٍ يا باغى الخير أقبل، ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة**».

* وفى رواية للنسائى: «**وتغل فيه مردة الشياطين**».

* وللإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أعطيت أمتى فى رمضان خمس خصال لم تعطه أمة قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته، ثم يقول: يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره، ويغفر لهم فى آخر ليلة، قيل يارسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله**».

* وفى الترمذى عن أنس: «سئل النبى ﷺ : **أى الصدقة أفضل؟ قال: صدقة فى رمضان**».

* وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «**عمرة فى رمضان تعدل بحجة، أوقال: حجة معى**».

* وقال النبى ﷺ:

«**رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر**» [أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة].

* قال النبى ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**» [أخرجه البخارى].

* وفى حديث آخر : « **ليس الصيام من الطعام والشراب إنما من اللغو والرفث** ».

* وفى حديث الحارث الأشعرى عن النبى ﷺ : «**أن زكريا عليه السلام قال لبنى إسرائيل: أمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم تُعجبه ريحه وإن ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك**» [أخرجه الترمذى وغيره]

* كما فى الحديث المرفوع الذى خرجه ابن ماجة: «**إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد**».

* وقال رسول الله ﷺ لرجل «إنك لم تدع شيئاً اتقاء الله إلا أتاك الله خيراً منه»[خرجه الإمام أحمد].

* فى الحديث «إن الجنة لتزخرف وتتجد من الحول إلى الحول لدخول رمضان، فتقول الجنة يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا»[أخرجه البيهقى].

* وورد فى حديث آخر: « إذا كان يوم القيامة يُحاسب الله عبده، ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم، فيتحمل الله عز وجل ما بقى عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة» [خرجه البيهقى فى شعب الإيمان وغيره].

* وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال:«إن فى الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل غيرهم»، وفى رواية «فإذا دخلوا أغلق».

* وفى رواية :«من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً»[أخرجه الترمذى وأحمد عن سهل بن سعد].

* وفى حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبى ﷺ فى منامه الطويل، قال:«ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشاً كلما ورد حوضاً مُنع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه» [خرجه الطبرانى وغيره].

* وروى ابن أبى الدنيا بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعاً:«الصائمون ينفخ من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش يأكلون منها والناس فى الحساب».

* وأخرج ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر أنه ﷺ قال:«إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد».

* وأبو داود والطيالسى والبيهقى عنه أيضاً :« للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة ».

* والديلمى عن ابن عمر:« صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف ».

* وابن ماجه عن جابر، وأحمد والطبرانى والبيهقى عن ابى أمامة أنه ﷺ قال: « **إن لله تعالى عند كل فطر عتقاء من النار، وذلك فى كل ليلة** ».

* وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة: «**كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، يقول الله تعالى: إلا الصوم لى وأنا أجزى به، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك**».

* وأخرج البغوى عن رجل من الصحابة، قال الله عز وجل: «**الحسنة بعشر وأزيد، والسيئة واحدة وأمحوها، والصوم لى وأنا أجزى به، الصوم جنة من عذاب الله كمجن السلاح من السيف**».

* والطبرانى عن أبى هريرة وغيره : «**إن الله جعل حسنات ابن آدم بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، والصوم لى وأنا أجزى به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم عند الله يوم القيامة أطيب من ريح المسك**».

* وأخرج أحمد والترمذى والبيهقى عن زيد بن خالد أنه ﷺ قال: « **من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً** ».

* والبيهقى عنه: « **من فطر صائماً أو جهز غازياً فله مثل أجره**» ونصب شيئاً صحيح، ففاعل ينفض ضمير يرجع لمثل.

* وأخرج ابن حبان عن ابن عمر: «**الأعمال عند الله سبعة: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثوابه إلا الله تعالى، فأما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة، ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار، ومن عمل سيئة جوزى بمثلها، ومن هم بحسنة يجزى بمثلها، ومن عمل حسنة جُزى عشراً، ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعف الله له نفقة الدرهم بسبعمائة درهم، والدينار بسبعمائة دينار، والصيام لله تعالى، لا يعلم ثواب عامله إلا الله الحكيم**».

* وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة - رضى الله عنه - «الصيام لا رياء فيه. قال الله تعالى: هو لى وأنا أجزى به، يدع طعامه وشرابه من أجلى ».

* وأخرج الترمذى عن أبى هريرة : «إن ربكم يقول كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والصوم لى وأنا أجزى به، والصوم جُنَّة من النار، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وإن جَهِلَ على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إنى صائم».

* وأخرج الترمذى وحسنه عن رجل من بنى سليم، وابن ماجه عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «الصيام نصف الصبر».

* وفى حديث سنده حسن: «الصبر نصف الإيمان» أى فالصوم ربع الإيمان.

* وأخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة أنه ﷺ قال: «الصيام نصف الصبر، وعلى كل شىء زكاة، وزكاة الجسد الصيام».

* وابن ماجه عنه أيضاً، والطبرانى عن سهل بن سعد: «لكل شىء زكاة، وزكاة الجسد الصوم».

* وأخرج ابن صَصُرَّى فى أماليه عن عائشة، والديلمى عن على: « من فطر صائماً كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً، وما عمل الصائم من البرِّ كان لصاحب الطعام مثل أجره ما دام قوة الطعام فيه ».

* والطبرانى عن أبى الدرداء: « صيام المرء فى سبيل الله يبعده عن جهنم مسيرة سبعين عاماً ».

* وأخرج الخطيب عن سهل بن سعد أنه ﷺ قال: « من صام يوماً متطوعاً لم يطلع عليه أحد لم يرض الله له بثواب دون الجنة».

* والبزار والبيهقى عن أبى سعيد وضعَّفه وابن عساكر: « سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حُرمة ذو الحجة».

* والطبرانى والبيهقى وغيرهما: « سيد الشهور رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة».

* والدارقطنى عن ابن عباس: « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

* وأبو نعيم فى الطب عن شداد بن عبدالله: « عليكم بالصوم فإنه محسمة للعروق ومذهب للأشر».

* وابن ماجه والبيهقى عن عبدالرحمن بن عوف: «شهر رمضان شهر كتب عليكم صيامه، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وروى عنه أيضاً: « إن الله قد افترض عليكم صوم رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً ويقينا كان كفارة لما مضى».

* وأحمد والترمذى عنه: « إن الله تعالى فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

* وأخرج الديلمى عن أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال: « الصائم فى عبادة وإن كان نائماً على فراشه».

* وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس: «نوم الصائم عبادة».

* وأخرج أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم عن أبى أمامة «عليكم بالصوم فإنه لا مثيل له».

والنسائى عن أبى أمامة قال: أتيت النبى ﷺ فقلت: يارسول الله، مرنى بأمر آخذه عنك. قال: «عليك بالصوم فإنه لا عداء له».

* وأخرج أحمد والترمذى والبيهقى عن أم عمارة: « أن الصائم إذا أكل عنده لم تزل تصلى عليه الملائكة حتى يفرغ من طعامه ».

* والترمذى وابن ماجه: «الصائم إذا أكلت عنده المفاطر صلت عليه الملائكة».

* وأخرج أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول

الصيام: أى رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان ».

* وأخرج أبو الشيخ عن أبى الدرداء أنه ﷺ قال:« لكل شىء باب، وباب العبادة الصيام».

* وأخرج البيهقى عن على كرم الله وجهه أنه ﷺ قال:« إن الله أوحى إلى نبى من بنى إسرائيل أن أخبر قومك أنه ليس عبد يصوم يوماً ابتغاء وجهى إلا أصححت جسمه وأعظمت أجره».

* وأبو الشيخ فى الثواب والديلمى والرافعى عن أبى الدرداء:« أوحى الله إلى عيسى بن مريم فى الأنجيل: قيل للملأ من بنى إسرائيل إن من صام لمرضاتى أصححت له جسمه وأعظمت له أجره ».

* وأخرج أحمد والشيخان والنسائى عن أبى سعيد أنه ﷺ قال:« من صام يوماً فى سبيل الله بَعَّدَ الله وجهه عن النهار سبعين خريفاً».

* وأخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة:« من صام يوماً فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك سبعين خريفاً».

* والنسائى عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه:« من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله وجهه من جهنم سبعين عاماً».

* والنسائى وابن ماجه عنه:« من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله بذلك اليوم حر جهنم عن وجهه سبعين خريفا».

* والنسائى عن عقبة بن عامر :« من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام».

* وفى مسند الإمام أحمد: أن امرأتين صامتا فى عهد النبى ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش، فذكر ذلك للنبى ﷺ فأعرض ثم ذكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيآ فقاءتا ملء قدح قيحاً ودماً وصديداً ولحماً عبيطاً، فقال النبى ﷺ « إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس ».

* كنا مع النبى ﷺ فى رمضان فى سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة.

* وفى الموطأ : أنه ﷺ كان بالعرج يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش والحر.

* وروى أبو الشيخ الأصبهانى بإسناد فيه ضعف، عن أنس مرفوعاً: « **يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون بريح أفواههم، أفواههم أطيب من ريح المسك** ».

* ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين** ».

* ولمسلم : « **فتحت أبواب الرحمة** ».

***

٢ - رؤية هلال شهر رمضان

* وأخرج أحمد والشيخان وغيرهما :« الشهر تسع وعشرون، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين».

* وأحمد ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما:« إن الله قد أمده لرؤيته قال أغمى عليكم فأكملوا العدة».

* وأحمد والنسائى عن ابن عمرو رضى الله عنهما:« لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له».

* وأحمد والبيهقى عن جابر، وأحمد ومسلم والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة، والنسائى عن ابن عباس، وأبو داود عن حذيفة، وأحمد عن طلق بن طلق:« إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين يوماً ».

* والترمذى والدارقطنى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة: « أحصوا هلال شعبان لرمضان، ولا تخلطوا برمضان إلا أن يوافق ذلك صياماً كما يصومه أحدكم، وصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً، فإنها ليست تغمى عليكم العدة».

* والدراقطنى عن رافع بن خديج «أحصوا عدة شعبان لرمضان».

* والطبرانى عن عدى بن حاتم:« إذا جاء رمضان فصم ثلاثين، إلا أن ترى الهلال قبل ذلك».

* والطبرانى عن طلق بن على:« إن الله جعل هذه الأهلة مواقيت، فإذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين».

* والنسائى عن ابن عباس:«أتانى جبريل فقال: الشهر تسعة وعشرون يوماً».

* والبخارى والنسائى عن ابن عمر، وأحمد والنسائى عن ابن عامر، وابن ماجه عن أم سلمة، وأحمد عن سعد بن وقاص، والنسائى عن ابن عباس «الشهر تسعة وعشرون».

* ومسلم وغيره عن ابن عمر: « **الشهر هكذا وهكذا وهكذا، وعقد إبهامه فى الثالثة، صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، فإن غمى عليكم فاقدروا ثلاثين يوماً**».

* والنسائى عن أبى هريرة «**الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً ويكون ثلاثين يوماً، فإذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا، فإن غم عليكم فأكملوا العدة**».

* والطبرانى عن ابن عباس: « **الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون**».

* والبيهقى عن ابن عمر: « **الشهر ثلاثون والشهر تسعة وعشرون، فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين**».

* والشيخان والنسائى عن أبى هريرة، وابن ماجه والنسائى عن ابن عباس، والطبرانى عن البراء: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين**»، وأخرجه الحاكم عن ابن عمر بهذا اللفظ إلا أنه قال ثلاثين يوماً.

* وأحمد والنسائى عن ربعى مرسلاً: « **فإن غم عليكم فأتموا شعبان ثلاثين، إلا أن تروا الهلال قبل ذلك ثم صوموا رمضان ثلاثين إلا أن تروا الهلال قبل ذلك**».

* والنسائى والموطأ أنه ﷺ ذكر رمضان فقال: « **لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**».

* والترمذى والنسائى وابن حبان عن ابن عباس: «**لا تصوموا قبل رمضان، وصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غياية فأكملوا ثلاثين يوماً**».

* والغياية بالمعجمة والمهملة، فتحتية فألف فتحتية أخرى: ما أظل الإنسان فوق رأسه، مثل السحاب والغبرة والظلمة.

* وأبو داود عنه: « **لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين، إلا أن يكون شىء يصوم أحدكم، لا تصوموا حتى تروه، ثم صوموا حتى تروه، فإن حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين يوماً ثم أفطروا، والشهر تسعة وعشرون**».

* وفى رواية لأبى داود أيضاً: كان ﷺ **يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من** غيره، ثم يصوم لرؤية رمضان، فإن غم عليه عد ثلاثين يوماً ثم صام.

* وأحمد ومسلم والأربعة عن أبى هريرة « **لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صوماً فليمصم ذلك اليوم صوما**».

* وأبو داود والنسائى وابن حبان عن حذيفة: « **لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة قبله، ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة قبله**».

* والبيهقى عن أبى هريرة، والبخارى، والترمذى عن أنس، والشيخان عن أم سلمة، ومسلم عن جابر وعائشة: « **إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً**».

* والنسائى أن ابن عباس قال: **عجبت لمن يتقدم الشهر** قال رسول اللهﷺ: « **إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين** ».

* وله فى رواية أخرى: « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حال بينكم وبينه سحاب، فأكملوا العدة ولا تستقبلوا الشهر استقبالا** ».

* وأحمد والنسائى والبيهقى عن ابن عباس: « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن حال بينكم وبينه سحاب، فأكملوا عدة شعبان، ولا تستقبلوا الشهر استقبالاً، ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان** ».

***

٣ - فضل تعجيل الفطر وتأخير السحور

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا ونؤخر سحورنا، ونضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة**»، [رواه أبو داود والطيالسى والطبرانى].

* وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « **بكروا بالإفطار وأخروا السحور** » [رواه ابن عدى].

* وعن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: « **عجلوا الإفطار وأخروا السحور**» [رواه الطبرانى].

* وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أحب عبادى إلى أعجلهم فطراً**» [رواه أحمد والترمذى، وابن حبان، وقال الترمذى: حسن غريب].

* وأخرج ابن عساكر: « **من فقه الرجل فى دينه تعجيل فطره** »

[الحديث، وسيأتى]

* وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « **لن تزال أمتى على سنتى ما لم ينتظروا بفطرهم طلوع النجوم**» [رواه الطبرانى].

* وأخرج أبو محمد الجوهرى فى أماليه عن أنس أنه ﷺ قال: « **من أخلاق النبوة تعجيل الإفطار وتأخير السحور ووضع الأيدى على الأيدى فى الصلاة**».

* وابن عساكر عن ابن عمر، وأنس معاً أنه ﷺ قال: « **من فقه الرجل فى دينه تعجيل فطره وتأخير سحوره، وتسحروا فإنه الغذاء المبارك** ».

* وأحمد عن أبى ذر أنه ﷺ قال: « **لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الإفطار وأخروا السحور** ».

* وابن عدى عن أنس أنه ﷺ قال:« **بكروا بالإفطار وأخروا السحور** ».

والطبرانى عن عقبة بن عبدالله وأبى الدرداء:« **تسحروا من آخر الليل، هذا الغذاء المبارك** ».

* والطبرانى عن أم حكيم أنه ﷺ قال:« **عجلوا الإفطار وأخروا السحور**».

* وروى أيضاً:« **لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**».

* والنسائى عن رجل قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يتسحر فقال:« **إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه** ».

***

٤ - فضل السحور

* أخرج أحمد والشيخان عن أنس، والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس، والترمذى والنسائى عن أبى هريرة وعن ابن مسعود، وأحمد عن أبى سعيد أنه ﷺ قال: « تسحروا فإن فى السحور بركة ».

* وابن النجار « تسحروا ولو بجرعة الماء، صلوات الله على المتسحرين ».

* والديلمى: « تسحروا ولو أكلة ولو حسوة، فإنها أكلة بركة، وهو فضل صومكم وصوم النصارى».

* وهو أيضاً: « السحور بركة والثريد بركة والجماعة بركة».

* والدارقطنى فى الأفراد عن أبى أمامة: « اللهم بارك لأمتى فى سحورها، تسحروا ولو بشربة من ماء، ولو بتمرة ولو بحبات زبيب، إن الملائكة تصلى على المتسحرين».

* والطبرانى عن أبى سويد: « اللهم صلِّ على المتسحرين».

* وأبو محمد الجوهرى فى أماليه: « نعم غذاء المؤمن السحور، إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين ».

* والطبرانى وغيره: « إنما يفعل ذلك النصارى - يعنى الوصال - ولكن صُوموا كما أمركم الله عز وجل، ثم أتموا الصيام إلى الليل، فإذا كان الليل فأفطروا ».

* وأحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان عن العرباض بن سارية قال: دعانى رسول الله ﷺ إلى السحور فى رمضان، قال: « هلم إلى الغذاء المبارك ».

* وأحمد والنسائى عن المقدام بن معدى كرب أنه ﷺ قال: « عليكم بهذا السحور، فإنه هو الغذاء المبارك».

* وابن عدى عن جابر «خير سحوركم التمر».

* والطبرانى عن السائب بن يزيد: « **نعم السحور التمر، يرحم الله المتسحرين** ».

* والطبرانى عن عقبة بن عامر: « **نعم سحور المسلم التمر** ».

* وابن عساكر عن أبى هريرة: « **نعم السحور التمر، ونعم الأدم الخل، يرحم الله المتسحرين** ».

* وأبو داود عن أبى هريرة، وابن حبان والحاكم، قال: قال رسول الله ﷺ: « **نعم سحور المؤمن التمر** ».

* وابن ماجه والحاكم والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس: « **استعينوا بطعام السحر على صيام النهار، وبقيلولة النهار على قيام الليل** » حديث صحيح.

* وأحمد ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن حبان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر** ».

* وأحمد عن أبى سعيد: « **السحور أكلة بركة فلا تدعوه، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين** ».

* وأحمد والنسائى عن رجل: « **إن السحور بركة أعطاكموها الله فلا تدعوها** ».

* وأحمد عن جابر: « **من أراد أن يصوم فليتسحر بشىء** ».

* وأبو يعلى عن أنس: « **تسحروا ولو بجرعة من ماء** ».

* وابن عدى عن على: « **تسحروا ولو بشربة من ماء، وأفطروا ولو على شربة من ماء** ».

* والحاكم فى تاريخه، والديلمى عن أنس: « **أربع من فعلهن قوى على صيامه: يكون أول فطره على ماء، ولا يدع السحور، ولا يدع القائلة، وأن يشم من طيب** ».

* والبيهقى عنه: « من أحب أن يقوى على الصيام فليتسحر، وليشم طيباً وليفطر على الماء».

* وعنه أيضاً: « من أكل قبل أن يشرب وتسحر وشرب ومس شيئاً من الطيب قوى على الصيام».، وقوله : « ولا يفطر على الماء »، وقوله: قبل أن يشرب مخالف للأحاديث السابقة المصرحة بالفطر على الماء عند عدم الرطب والتمر.

***

٥ - وقت السحور

* عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلى الصلاة، قال أنس بن مالك قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: قدر خمسين آية. أخرجه البخارى ومسلم.

* وفى رواية للبخارى عن أنس أنه ﷺ ويزيد بن ثابت تسحرا، فلما فرغا من سحورهما قام نبى الله ﷺ إلى الصلاة فصلى. قال قلت لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما فى الصلاة؟ قال: قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية.

* وعن أنس قال: تسحَّر رسول الله ﷺ وزيد بن ثابت، ثم قاما فدخلا فى صلاة الصبح، فقلت لأنس: كم كان بين فراغهما ودخولهما فى الصلاة؟ قال: قدر ما يقرأ الإنسان خمسين آية.

* وفى رواية أنه ﷺ قال لأنس عند السحر: « **يا أنس، إنى أريد الصيام، أطعمنى شيئاً** »، فأتيته بتمر وإناء فيه ماء، وذلك بعد ما أذَّن بلال. قال: « **يا أنس، أنظر رجلا يأكل معى** » فدعوت زيد بن ثابت، فجاء، وقال: إنى قد شربت شربة سويق، وأنا أريد الصيام، فقال ﷺ: « **وأنا أريد الصيام. فتسحر معه، ثم قام فصلى ركعتين، ثم خرج إلى الصلاة** » [رواه النسائى].

* وعن زر بن حبيش قال قلنا لحذيفة: أى ساعة تسحرت مع رسول الله ﷺ؟ قال: هو النهار، إلا أن الشمس لم تطلع. [رواه النسائى أيضاً].

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن - أو قال ينادى - بليل ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم، والفجر هو المعترض وليس بالمستطيل** »

[أخرجه البخارى ومسلم أبو داود]

* وفى رواية للبخارى عن عائشة وابن عمر رضى الله تعالى عنهم أن بلالا كان يؤذن بليل، فقال رسول الله ﷺ: « **كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر** ».

* وفى أخرى لمسلم عن ابن عمر قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان، بلال وابن أم مكتوم الأعمى، فقال رسول الله ﷺ:« **إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم** ». قال ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا.

* وفى أخرى للنسائى عن عائشة:« **إلا أن ينزل هذا ويصعد هذا** ».

* وفى أخرى للموطأ عن ابن عمر: وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى، لا ينادى حتى يقال له: أصبحت أصبحت.

* وفى أخرى لمسلم عن سمرة بن جندب: « **لا يغرنكم من سحوركم آذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا، حتى يستطير هكذا** » أى يكون معترضاً.

* وأخرج أبو داود والترمذى عن طلق :« **كلوا واشربوا ولا يهولنكم الساطع المصعد، فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر** ».

* وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى:« **لا يغرنكم فى سحوركم آذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل حتى يستطير** ».

* وأحمد وأبو يعلى والطحاوى:« **لا يغرنكم أذان بلال عن السحور، فإن فى بصره شيئا** ».

* والحاكم عن ابن عباس:« **الفجر فجران: فأما الفجر الأول فإنه لا يحرم الطعام ولا يحل الصلاة، وأما الثانى فإنه يحرم الطعام، ويحل الصلاة** ».

* وابن سعد عن زيد بن ثابت، وأحمد عن عمه حبيب بن عبدالرحمن:« **إن ابن أم مكتوم ينادى بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال** ».

***

٦ - فضل تلاوة القرآن الكريم فى رمضان

* كما فى المسند عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام رب منعته الطعام والشراب بالنهار، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان».

* وفى المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ أنه قال: « نزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان».

* وقد كان النبى ﷺ يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره.

* «وقد صلى معه حذيفة ليلة فى رمضان قال: فقرأ بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل، فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فأذن بالصلاة». خرجه الإمام أحمد، وخرجه النسائى.

* وقد روى عن أبى ذر «أن النبى ﷺ قام بهم ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل، وليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، فقالوا له لو نفلتنا بقية ليلتنا، فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف، كتب له بقية ليلته». خرجه أهل السنن وحسنه الترمذى.

* وفى سنن أبى داود عن عبدالله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » يعنى أنه يكتب له قنطار من الأجر.

* ويروى من حديث تميم وأنس مرفوعاً: « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قيام ليلة»، وفى إسنادهما ضعف. وروى حديث تميم موقوفاً عليه هو أصح.

* وعن ابن مسعود قال: « من قرأ فى ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له

قنطار، ومن أراد أن يزيد فى القراءة ويطيل، ومن كان يصلى لنفسه فليطول ما شاء. كما قاله النبى ﷺ وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته ».

* وخرج الإمام أحمد من حديث بريده مرفوعاً:«إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حتى ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب؛ فيقول هل تعرفنى أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر، وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم يقال له اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ، هزاً كان أو ترتيلا».

* وفى حديث عبادة بن الصامت الطويل:« أن القرآن يأتى صاحبه فى القبر فيقول له أنا الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدونى من الأخلاء خليل صدق ثم يصعد فيسأل فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش من الجنة وقنديل من الجنة وياسمين من الجنة ثم يدفع القرآن فى قبلة القبر فيوسع عليه ما شاء الله من ذلك ».

* وخرج الإمام أحمد من حديث سمرة:« أن النبى ﷺ رأى فى منامه رجلاً مستلقياً على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فيتدهده الحجر، فإذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع به مثل ذلك، فسأل عنه فقيل له هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة» وقد خرجه البخارى بغير هذا اللفظ.

* وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ :« يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصماً، فيقول يا رب حملته إياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره فى النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمره فيتمثل خصماً دونه فيقول يارب حملته إياى فخير حامل حفظ حدودى وعمل بفرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتى،

فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به، فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر».

* وفى حديث فاطمة رضى الله عنها عن أبيها ﷺ:

* «أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضه فى عام وفاته مرتين».

* وفى حديث ابن عباس: « أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً».

* * *

٧ - فضل الجود فى رمضان

* فى الصحيحين: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان النبى ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة».

* وخرجه الإمام أحمد بزيادة فى آخره وهى: « لا يأل عن شىء إلا أعطاه» الجود هو: سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود.

* وفى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ :« إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم ».

* وفيه أيضا: « من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ عن ربه، قال: « يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكى إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه، ذلك بأنى جواد واجد ماجد أفعل ما أريد، عطائى كلام، وعذابى كلام، إنما أمرى لشىء إذا أردت أن أقول له كن فيكون».

* وفى الحديث الذى خرجه الترمذى وغيره: «أنه ينادى فيه مناد: يا باغى الخير هلم، ويا باغى الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة».

* وفى مغازى الواقدى: « أن النبى ﷺ أعطى صفوان يومئذ وادياً مملوءاً إبلاً، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبى».

* وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم: « أن الأعراب علقوا بالنبى ﷺ مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم، فقال: لو كان لى عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوباً ولا جبانا».

* وفيهما عن جابر قال: « ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال لا وإنه قال لجابر: لو جاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، وقال بيديه جميعا».

* وخرج البخارى من حديث سهل بن سعد: « أن شملة أهديت للنبى ﷺ فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه فلامه الناس، وقالوا كان محتاجاً إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلا، فقال إنما سألتها لتكون كفنى فكانت كفنه ».

* وفى الصحيحين عن أنس قال: « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس».

* وفى صحيح مسلم عنه قال: « ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم: أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة».

* وفيه أيضاً: عن صفوان بن أمية قال: « لقد أعطانى رسول الله ﷺ ما أعطانى وأنه لمن أبغض الناس إلى، فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلىَّ».

* وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «من أصبح منكم يوماً صائما؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من تصدق بصدقة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم مريضا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة».

* فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الصيام جُنَّة»، وفى رواية: «جُنَّة أحدكم من النار كَجُنَّتِه من القتال». أخرجه النسائى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه.

* وفى حديث معاذ عن النبى ﷺ قال: « الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل من جوف الليل ».

* حديث على رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **إن فى الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، قالوا: لمن هى يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» أخرجه الترمذى وأحمد والبيهقى.

* وفى حديث زيد بن خالد عن النبى ﷺ قال: « **من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء** » خرجه الإمام أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه، وخرجه الطبرانى من حديث عائشة.

* وزاد «**وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه**».

* وخرج ابن خزيمة فى صحيحه من حديث سلمان مرفوعاً حديثاً فى فضل شهر رمضان وفيه: «**وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء، قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال: يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو ثمرة أو شربة ماء، ومن أشبع فيه صائم سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة**».

* وفى الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال:« **اتقوا النار ولو بشق تمرة** »، أخرجه الشيخان عن عدى بن حاتم.

* وفى الترمذى عن أنس مرفوعاً: « **أفضل الصدقة صدقة فى رمضان** ».

***

٨ - فى ذكر العشر الأوسط من شهر رمضان وغزوة بدر الكبرى

* فى الصحيحين عن سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يعتكف فى العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاماً حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وهى التى يخرج فى صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معى فليعتكف العشر الآواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها فى العشر الآواخر والتمسوها فى كل وتر، فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناى رسول الله ﷺ على جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين ».

* وفى رواية فى الصحيحين فى هذا الحديث: « أنه اعتكف العشر الأول ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم قال: إنى أتيت فقيل لى إنها فى العشر الآواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه».

* وخرّج الطبرانى من حديث عبدالله بن أنيس أنه سأل النبى ﷺ عن ليلة القدر فقال: « رأيتها ونسيتها فتحرها فى النصف الآواخر، ثم عاد فسأله، فقال: التمسها فى ليلة ثلاث وعشرين تمضى من الشهر».

* ويروى من حديث عائشة : « أن النبى ﷺ كان إذا كان ليلة تسع عشرة من رمضان شد المئزر وهجر الفراش حتى يفطر».

* قال البخارى تفرد به عمر بن مسكين، ولا يتابع عليه.

* وروى من حديث جابر قال: « كان رسول الله ﷺ يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان أى يوم كان» خرجه أبو موسى المدينى.

* وفى سنن أبى داود من حديث عبدالله بن عمرو قال: « خرج رسول الله ﷺ يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت ».

* وفى الموطأ حديث مرسل عن النبى ﷺ قال: « ما رؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة إلا ما رأى يوم بدر، قال:جبريل يزع الملائكة ».

* كما قال النبى ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكن فى التحريش بينهم» خرجه مسلم من حديث جابر.

* وخرج الإمام أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص قال: سمعت النبى ﷺ يقول فى حجه الوادع: « ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى بلدكم هذا أبداً، ولكن سيكون له طاعة فى بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها».

* وفى صحيح الحاكم عن ابن عباس أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال: « إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم ولكنه يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحاقرون من أعمالكم فيرضى بها. فأحذروا يأيها الناس إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ».

* وفى صحيح البخارى: « ان جبريل قال للنبى ﷺ ما تعدون أهل بدر فيكم قال: من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة».

* وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣] ، وقال: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال:١٧].

* وروى أن النبى ﷺ لما رآهم قال: « اللهم إن هؤلاء قريش قد جاءت بخيلائها يكذبون رسولك فانجز لى ما وعدتنى، فأتاه جبريل فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فأخذ قبضة من حصباء الوادى فرمى بها نحوهم وقال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه ومنخره وفمه شىء ثم كانت الهزيمة ».

***

٩ - فى ذكر العشر الأواخر من رمضان

* فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: « **كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الآواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله** ».

هذا لفظ البخارى ولفظ مسلم: « **أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر** ».

* وفى رواية لمسلم عنها قالت: « **كان رسول الله ﷺ يجتهد فى العشر الآواخر ما لا يجتهد فى غيره، كان النبى ﷺ يخص العشر الآواخر من رمضان بأعمال لا يعملها فى بقية الشهر، فمنها إحياء الليل** ».

* وفى المسند من وجه آخر عنها قالت: « **كان النبى ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم، فإذا كان العُشْرُ - يعنى الأخير - شمر وشد المئزر** ».

* وخرج الطبرانى من حديث على: « **أن النبى ﷺ كان يوقظ أهله فى العشر الآواخرِ من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة** ».

* ففى مسند الإمام أحمد عن جابر أن عبدالله بن أنيس سأل رسول الله عن ليلة القدر وقد خلت اثنتان وعشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ: « **التمسوها فى هذا السبع الآواخر التى بقين من الشهر** » وفيه أيضاً.

*وفى صحيح البخارى عن بلال قال: « **إنها أول السبع من العشر الآواخر** »، وخرجه ابن أبى شيبة.

* روى عنه من حديث عائشة، وأنس أنه ﷺ: « **كان فى ليالى العشر يجعل سحورا عشاءه** ».

* ولفظ حديث عائشة « **كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الأذانين وجعل العشاء سحوراً** ». أخرجه ابن أبى عاصم وإسناده مقارب.

* وحديث أنس خرجه الطبرانى ولفظه: « **كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الآواخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا** ».

* عن أبى هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فى الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يارسول الله؟ فقال: « **وأيكم مثلى إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخرنا لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبو أن ينتهوا** ».

* فهذا يدل على أنه واصل بالناس فى آخر الشهر.

* وقد صح عن النبى ﷺ : « **أنه كان يطرق فاطمة وعليا ليلا فيقول لهما ألا تقومان فتصليان، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر** ».

حديث جابر أيضاً.

* وخرج ابن جرير الطبرى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ: « **كان يواصل إلى السحر ففعل ذلك بعض أصحابه فنهاه فقال: أنت تفعل ذلك. فقال: إنكم لستم مثلى إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى** ».

* * *

١٠ - ليلة القدر

* الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما: « أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الآواخر، فقال رسول الله ﷺ: أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الآواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الآواخر».

* وفى صحيح مسلم عنه عن النبى ﷺ قال: « التمسوها فى العشر الآواخر فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى ».

* وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ».

* وفى المسند عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال: « من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ».

* وفى المسند والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال فى شهر رمضان: « فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ».

* قال مالك: « بلغنى أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر ».

* وله من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « التمسوها فى العشر الآواخر الغوابر من رمضان ».

* ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ: « التمسوها فى العشر الغوابر ».

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، وكان يأمر بالتماسها فى أوتار العشر الآواخر.

* ففى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « **التمسوا ليلة القدر فى العشر الآواخر من رمضان فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى** ».

* وفى رواية له : « **هى فى العشر فى سبع تمضين أو سبع يبقين** ».

* وفى صحيح ابن حبان عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **فى ليلة القدر لا يخرج شيطانها، حتى يخرج فجرها** ».

* وفى المسند من حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال فى ليلة القدر: « **لا يحل لكوكب أن يرمى به حتى يصبح، وإن أمارتها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ** ».

* وفى المسند عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: « **الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى** ».

* حديث أبى جعفر محمد بن على مرسلا ، أن النبى ﷺ قال: « **من أتى عليه رمضان صحيحا مسلما صام نهاره وصلى ورداً من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده وحافظ على صلاته فى الجماعة وبكر إلى جمعة فقد صام الشهر واستكمل الأجر وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب عز وجل** ».

* قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إنى رأيت فى النوم ليلة القدر كأنها ليلة سابعة ، فقال رسول الله ﷺ : « **إنى أرى رؤيا قد تواطأت إنها ليلة سابعة، فمن كان متحريها منكم فليتحرتها فى ليلة سابعة** ».

* وفى صحيح مسلم عنه أن النبى ﷺ قال فى ليلة القدر: « **أرأيت أنى أسجد صبيحتها فى ماء وطين فانصرف النبى ﷺ من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين** ».

* وقال سعيد بن المسيب: « **كان النبى ﷺ فى نفر من أصحابه فقال ألا أخبركم بليلة القدر قالوا : بلى يا رسول الله، فسكت ساعة قال: لقد قلت لكم**

آنفاً وأنا أعلمها ثم أنسيتها، أرأيتم يوما كنا بموضع كذا وكذا؟ أى ليلة هى فى غزوة غزاها، فقالوا: سرنا فقفلنا حتى استقام ملأ القوم على أنها ليلة ثلاث وعشرين » [خرجه عبد الرزاق فى كتابه].

* وخرج الإمام أحمد والنسائى والترمذى من حديث أبى بكرة قال: ما أنا بملتمسها لشىء سمعته من رسول الله ﷺ إلا فى العشر الآواخر، فإنى سمعته يقول: « التمسوها فى تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث يبقين أو آخر ليلة».

* وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى شيخ كبير عليل يشق على القيام فمرنى بليلة يوفقنى الله فيها لليلة القدر، : « قال عليك بالسابعة »، وإسناده على شرط البخارى.

* وروى الإمام أيضاً، قال حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن عبدالله بن دينار عن أبى عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : « من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين، أو قال تحروها ليلة سبع وعشرين، يعنى ليلة القدر ».

* ورواه حماد بن يزيد عن أيوب عن نافع عن أبى عمر قال: « كانوا لا يزالون يقصون على النبى ﷺ أنها الليلة السابعة من العشر الآواخر، فقال رسول الله ﷺ: « أرى رؤياكم أنها قد تواطأت أنها ليلة السابعة فى العشر الآواخر فمن كان متحريها فليتحرها ليلة السابعة من العشر الآواخر ».

* وفى المسند وكتاب النسائى عن أبى ذر قال: « كنت أسأل الناس عنها، يعنى ليلة القدر، فقلت : يا رسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أفى رمضان هى أو فى غيره؟ قال: بلى: هى فى رمضان، قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم القيامة، قال: هى إلى يوم القيامة، قلت: فى أى رمضان هى؟ قال: التمسوها فى العشر الأول والعشر الآواخر، قلت فى أى العشرين هى؟ قال فى العشر الآواخر لا تسألنى عن شىء بعدها، ثم حدث

رسول الله ﷺ ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله : أقسمت بحقى لما أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: التمسوها فى السبع الآواخر لا تسألنى عن شىء بعدها »

[وخرجه ابن حبان والحاكم]

* وفى رواية لهما: « أنه قال ألم أنهك أن تسألنى عنها إن الله لو أذن لى أن أخبركم بها لأخبرتكم لا آمن أن تكون فى السبع الآواخر».

***

١١- فضل الاعتكاف

* ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها: « **أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الآواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى**».

* وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:« **كان رسول الله ﷺ يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين**».

* وابن ماجة عن أنس رضى الله تعالى عنه: « المعتكف يتبع الجنازة ويعود المريض» والمراد المعتكف نفلاً أو نذراً ولم يعين زمنا، ولا شرطاً تتابعاً، وإلا ففيه تفصيل معروف فى محله.

* وابن ماجه والبيهقى عن ابن عباس:« **المعتكف يكف الذنوب ويجرى له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها**».

* والحاكم والبيهقى :«**لا اعتكاف إلا بصيام**» أى لا اعتكاف كاملاً، بدليل الحديث السابق، ليس على المعتكف صوم، وكذلك يحمل على ما ذكر حديث الحاكم أيضاً: «اعتكف وصم».

* والبيهقى عن عائشة :« **من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن اعتكف فلا يحر من الكلام**».

* والبيهقى عن حذيفة :« **لا اعتكاف إلا فى المسجد الحرام- أو قال : فى المساجد الثلاثة-**» أى لا اعتكاف كاملاً، بدليل الحديث السابق: كل مسجد فيه إمام ومؤذن فالاعتكاف فيه يصلح.

* والطبرانى والحاكم والبيهقى وضعفه:« **من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله عز وجل جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين**».

١٢- وداع رمضان

* فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من صام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وفيهما أيضاً من:

* حديث أبى هريرة أيضاً رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **من قام رمضان إيماناً واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

* ففى المسند وصحيح ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفر ذلك ما قبله** ».

والجمهور على ذلك إنما يكفر الصغائر ويدل عليه.

* ما خرجه مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**».

* وفى سنن أبى داود وغيره عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **لا يقولن أحدكم صمت رمضان كله، ولا قمت رمضان كله** ».

* ما خرجه الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **أعطيت أمتى خمس خصال فى رمضان لم يعطها أمة غيرهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول يوشك عبادى أن يكفوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا إليك، ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فى غيره، ويغفر لهم فى آخر ليلة فيه، فقيل : يارسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله** ».

* حديث ابن عباس رضى الله عنهما المرفوع: « إذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الجن والإنس يقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتى! ما جزاء الأجير إذا عمل عمله، فيقولون: إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره، فيقول: إنى أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى، انصرفوا مغفور لكم».

* وفى حديث سلمان الفارسى المرفوع الذى فى صحيح ابن خزيمة: « من فطر صائماً كان عتقاً له من النار، ومن خفف فيه عن مملوكه كان له عتقاً من النار».

* وفيه أيضاً: « فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: شهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار. وأما اللتان لا غناء لكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتستعيذون به من النار».

* فى صحيح ابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد المنبر فقال: « آمين آمين آمين، قيل: يارسول الله إنك صعدت المنبر فقلت: آمين آمين آمين، فقال: إن جبريل أتانى فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين ».

* وفى حديث أبى جعفر الباقر المرسل: « من أتى عليه رمضان فصام نهاره وصلى ورداً من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده، وحافظ على صلاته فى الجماعة وبكر إلى جمعه، فقد صام الشهر واستكمل الأجر، وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب ».

١٣ - أبواب الدعاء فى شهر رمضان

١ - الدعاء عند رؤية الهلال:

* أخرجه الترمذى وابن حبان وحسنه الترمذى الحافظ ابن حجر، عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه، أن النبى ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « **اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربى وربك الله**».

* وأخرج الطبرانى فى المعجم الكبير عن رافع بن خديج قال: كان رسول الله ﷺ: إذا رأى الهلال قال: « **هلال خير ورشد- ثلاثاً- ثم قال: اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر، وأعوذ بك من شره ثلاث مرات**» قال الهيثمى: إسناده حسن، وفى رواية لأبى داود بزيادة، ويقول: «**الحمد لله الذى ذهب بشهر-كذا- وجاء بشهر -كذا- آمنت بالذى خلقك**».

* وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عبدالله بن هشام قال: كان أصحاب النبى ﷺ، يتعلمون هذا الدعاء إذا دخلت السنة أو الشهر: « **اللهم أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ورضوان من الله، وحذار من الشيطان** ».

قال الهيثمى: وإسناده حسن، وله حكم الرفع.

٢ - الدعاء عند الإفطار:

* أخرج أبو داود والنسائى، والحاكم وقال على شرط مسلم، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا أفطر قال: « **ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله**»، وفى رواية لأبى داود: « **اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت** »، وهو مرسل، وفى رواية لابن السنى بزيادة: « **فتقبل منا أنك أنت السميع العليم** »، وفى رواية له أيضاً: « **الحمد لله الذى أعاننى فصمت، ورزقنى فأفطرت** ».

٣ - إذا أفطر عند قوم :

أخرج ابن ماجه وابن حبان عن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما قال : أفطر رسول الله ﷺ عند سعد بن معاذ فقال :« **أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**» وأخرجه أبو داود بإسناد حسن عن أنس رضى الله عنه .

* وأخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عمرو أنى النبى ﷺ كان يقول عند فطره :« **اللهم إنى اسألك برحمتك التى وسعت كل شىء، أن تغفر لى ذنوبى**» .

٤ - الدعاء ليلة القدر :

* أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ، إن علمت ليلة القدر ، ما أقول فيها؟ قال :« **قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى** » .

* * *

١٤ - زكاة الفطر

* عن ابن عمر قال: « فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين» رواه الجماعة.

ولأحمد والبخارى وأبى داود : « وكان ابن عمر يعطى التمر إلا عاماً واحداً، أعوز التمر فأعطى الشعير». وللبخارى «وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين».

* وعن أبى سعيد قال: « كنا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط، أو صاعاً من زبيب».

أخرجاه، وفى رواية: « كنا نخرج زكاة الفطر إذا كان فينا رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، صاعاً من طعام، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من أقط، فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة، فقال: إنى لأرى مدين من سمراء الشام يعدل صاعاً من تمر، فأخذ الناس بذلك، قال أبو سعيد: فلاأزال أخرجه »، رواه الجماعة، لكن البخارى لم يذكر فيه، قال أبو سعيد: « فلا أزال...إلخ »، وابن ماجه لم يذكر لفظه«أو فى شىء منه»، وللنسائى عن أبى سعيد قال: « فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من أقط» وهو حجة فى أن الأقط أصل، وللدارقطنى عن ابن عينية عن ابن عجلان عن عياض بن عبدالله، عن سعيد قال: « ما أخرجنا على عهد رسول الله ﷺ إلا صاعاً من دقيق، أو صاعاً من تمر، أو صاعاً من سلت، أو صاعاً من زبيب، أو صاعاً من شعير، أو صاعاً من أقط، فقال ابن المدينى لسفيان: يا أبا محمد إن أحداً لا يذكر فى هذا الدقيق؟ فقال: بلى، هو فيه» رواه الدارقطنى واحتج به أحمد على إجزاء الدقيق.

* وعن ابن عمر: « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » رواه الجماعة إلا ابن ماجة.

* وعن ابن عباس قال: « فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات »

[رواه أبو داود وابن ماجة]

***

١٥ - دعاء القنوت

اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت إنك تقضى ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أعطيت، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب ونتوب إليك، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا واجعلها الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار، اللهم وابرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيها أهل طاعتك ويذل فيها أهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنك على كل شيء قدير، اللهم واظهر الهدى ودين الحق الذى بعثت به نبيك محمدا ﷺ على الدين كله ولو كره المشركون ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وصلى اللهم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

***

١٦- دعاء ختم القرآن لشيخ الإسلام ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

صدق الله العظيم الذى لا إله إلا هو المتوحد فى الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيراً، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً، المتعالى بعظمته ومجده الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً وصدق رسول الله ﷺ تسليما كثيراً، الذى أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس بشيرا ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة، وآلائك الجسيمة، حيث أنزلت علينا خير كتبك، وأرسلت إلينا أفضل رسلك، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك الذى ارتضيته لنفسك وبنيته على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، ولك الحمد على ما يسرته من صيام شهر رمضان وقيامه وتلاوة كتابك العزيز الذى ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك نواصينا بيدك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا، اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته اللهم اجعلنا ممن يقيم حدوده ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده، اللهم اجعلنا ممن اتبع القرآن فقاده إلى رضوانك والجنة، ولاتجعلنا ممن اتبعه القرآن فزج فى قفاه إلى النار، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك

وخاصتك يا أرحم الراحمين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم، وأهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور وبارك لهم فى أسماعهم وأبصارهم وذرياتهم وأزواجهم أبداً ما أبقيتهم واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها وأتمها عليهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم واغفر لجميع موتى المؤمنين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون، اللهم إنا نسألك الجنة ما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته وعافيته، ولا حاجة هى لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا أرحم الراحمين، ربنا اغفر لنا ذنوبناً وإسرافنا فى أمرنا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

١٧ - صيام ستة أيام من شوال

* عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر** » رواه مسلم.

* وعن ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « **جعل الله الحسنة بعشر أمثالها فشهر بعشرة أشهر وستة أيام بعد الفطر تمام السنة** »

[رواه النسائى واللفظ له وابن ماجه وابن خزيمة]

* وفى رواية للنسائى وابن خزيمة: « **أيام شهر رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة** ».

* وخرج الطبرانى بإسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** ».

* وروى ابن ماجه عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: « **من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ».

* * *

١٨ - صيام التطوع

* أخرج الطبرانى عن قيس بن زيد الجهنى: « من صام يوماً تطوعاً غرست له شجرة فى الجنة، ثمرها أصغر من الرمان وأضخم من التفاح، وعذوبته كعذوبة الشهد، وحلاوته كحلاوة العسل، يطعم الله منه الصائم يوم القيامة».

* وابن زنجويه عن جرير: « من صام يوماً تطوعاً واحتساباً بعده الله من النار أربعين خريفاً ».

* وابن زنجويه عن عبدالرحيم بن غنم : « من صام يوماً يبتغى بذلك وجه الله تعالى باعد الله بينه وبين النار خمسين عاماً للراكب المسرع».

* والبغوى وابن قانع وابن زنجويه والطبرانى وابن النجار: « من صام يوماً ابتغاء وجه الله بعَّده الله من جهنم كبعد غراب طائر وهو فرخ حتى مات هرماً ».

* وابن عساكر وابن النجار عن أنس، والبيهقى عن سلامة، ويقال سلمة بن قيس: « من صام يوم تطوعاً، فلو أعطى ملء الأرض ذهبا ما وفّى أجره دون الحساب ».

* وابن النجار عن أبى هريرة: « لو أن رجلا صام لله تعالى يوماً تطوعاً ثم أعطى ملء الأرض ذهباً لم يستوف ثوابه دون يوم الحساب».

* والبيهقى عن ابن عمر: « من صام يوم الأربعاء والخميس، وتصدق بما قل أو كثر، غفر الله له ذنوبه، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

* والبيهقى عن أنس بسند فيه مجهول، يأتى بمالم يتابع عليه: « من صام الأربعاء والخميس بنى الله له قصراً فى الجنة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد، وكتب الله له براءة من النار ».

* وابن منيع والطبرانى وغيرهما عن أبى أمامة: « من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له بيتاً فى الجنة، يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره ».

* وأحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان عن أبى ذر: « إذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ».

* والنسائى عنه: « إن كنت صائماً فعليك بالغر البيض، ثلاث عشرة، وأربع عشره وخمس عشرة ».

* ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى قتادة: « ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله».

* والنسائى عن أبى هريرة: « شهر الصبر، أى شهر رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر».

* وأحمد عن أعرابى: « من سره أن يذهب كثير من وحر الصدر فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر».

* وابن زنجويه وابن جرير وابن حبان عن معاوية بن قرة عن أبيه: « صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر وإفطارها» قال ابن حبان قال وكيع عن شعبة فى هذا الخبر: وإفطاره.

* والطبرانى عن ابن عمر أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الصيام فقال: « الأيام البيض ثلاثة من كل شهر».

* والطبرانى: « من كل شهر ثلاثة أيام، من استطاع أن يصومها فإن كل يوم يكفر عشر سيئات، وإنه ينقى من الإثم كما ينقى الماء الثوب ».

* والبغوى وابن سعد والبيهقى عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها: « صم شهر الصبر» أى رمضان. قال: زدنى: قال: « صم شهر الصبر ويوماً بعده» قال: زدنى: « صم شهر الصبر ويومين فى كل شهر»، قال: زدنى. قال: «صم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر». قال: زدنى: قال: « صم من الحرم واترك ».

* وفى رواية عنها وعن أبيها أو عمها: « لم عذبت نفسك؟ صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر، صم يومين، صم ثلاثة أيام من الحرم واترك، صم من الحرم واترك ».

* وابن حبان عن أبى هريرة: « **من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله** ».

* والطبرانى عن حكيم بن حزام: « **صم ثلاثة أيام من كل شهر،. صم صيام داود، صم يوماً وأفطر يوماً** ».

***

١٩ - أدعية نبوية

* أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (ثلاثاً) هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة إلى آخر سورة الحشر.

* قل هو الله أحد (ثلاثاً) قل أعوذ برب الفلق (ثلاثاً) قل أعوذ برب الناس (ثلاثاً).

* فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد فى السموات والأرض، وعشيا وحين تطهرون، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون : الآيتين.

﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

* اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً.

* اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إلة إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم.

* اللهم احسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

* اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه.

* اللهم إنى أسألك العاقبة فى الدنيا والآخرة. اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى. اللهم استر عورتى وأمن روعتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتى.

* اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت (ثلاثاً).

* اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم، والمغرم والمأثم، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياى بماء الثلج والبرد، ونقى قلبى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بينى وبين خطاياى، كما باعدت بين المشرق والمغرب.

* اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عَمِلْتُ، ومن شر ما أعْمَلُ، اللهم إنى أعوذ بك من شر من عَلِمْتُ، ومن شر ما لم أَعْلَمْ.

* اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك.

* اللهم إنى أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردى، وأعوذ بك من الغرق والحزق والهرم، وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبراً، وأعوذ بك من أن أموت لديغاً، اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء، والأدواء.

* اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة العباد.

* اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع. اللهم اغفر لى ذنوبى وخطئى وعمدى.

* اللهم إنى أعوذ بك من الجذام والبرص وسيِّء الأسقام.

* اللهم اغفر لى جدى وهزلى، وخطئى وعمدى، وكل ذلك عندى.

* اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر.

* اللهم إنى اسألك الثبات فى الأمر، واسألك عزيمة فى الرشد، واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك لساناً صادقاً، وقلباً سليماً، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، واستغفرك مما تعلم. . إنك علام الغيوب.

* اللهم الهمنى رشدى، وأعذنى من شر نفسى.

* اللهم إنى اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفنى غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنى إلى حبك.

* اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى، وانصرنى على من ظلمنى، وخذ منه بثأرى.

* اللهم بارك لى فى دينى الذى هو عصمة أمرى، وفى آخرتى التى إليها مصيرى، وفى دنياى التى فيها بلاغى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، واجعل الموت راحة لى من كل شر.

* اللهم اجعلنى صبوراً، واجعلنى شكوراً، واجعلنى فى عينى صغيراً وفى أعين الناس كبيراً.

* اللهم إنى أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع.

* اللهم إنى أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات، وثقل موازينى وحقق إيمانى وارفع درجتى وتقبل صلاتى واغفر خطيئتى، وأسألك الدرجات العلى من الجنة أمين.

* اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين.

* اللهم إنى أسألك خير ما أتى، وخير ما أفعل، وخير ما أعمل وخير ما أبطن، وخير ما أظهر، والدرجات العلى فى الجنة آمين.

* اللهم إنى أسألك أن تبارك لى فى سمعى، وفى بصرى، وفى روحى، وفى خَلْقِى، وفى خُلُقِى، وفى أهلى، وفى محياى، وفى مماتى، وفى عملى، وتقبل حسناتى، وأسألك الدرجات العلى من الجنة . . آمين.

* اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

* اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا إلى طاعتك.

* اللهم اغفر لنا وارحمنا، وارض عنا وتقبل منا، وأدخلنا الجنة ونجنا من النار، وأصلح لنا شأننا كله.

* اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا.

* اللهم اعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

* اللهم أحسن عاقبتنا، فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

* اللهم اقسم لنا من خشيتك، ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك، ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا، فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

* اللهم آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . آمين.

* * *

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

كتب للمؤلف

١- فنون اللغة «رؤية فنية، ملامح قرآنية»، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٢- التقوى فى القرآن الكريم «دراسة لغوية وتفسيرية إحصائية»، دار الصحابة بطنطا.

٣- العدل فى القرآن الكريم «بين العلم والكون والإيمان»، المكتبة القيمة بالقاهرة.

٤- الإشارات العلمية فى القرآن الكريم «بين العلم والكون والإيمان»، المكتبة القيمة بالقاهرة.

٥- الإسلام والبعث الحضارى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٦- أدب الطفل العربى «رؤى جديدة، وصيغ بديلة»، دار المروة العربية للنشر، مطبوعات الشامى.

٧- فضل التحدث باللغة العربية، الالتزام بها، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٨- الموت حقيقة منسية - مشترك- مركز الكتاب للنشر، القاهرة.

٩- مداخل تعليم اللغة العربية - معهد البحوث العلمية- بجامعة أم القرى.

١٠- قضايا البيئة من منظور إسلامى -مشترك- مركز الكتاب للنشر.

١١- تحقيق مخطوطة «الفرائد والقلائد» للإمام الثعالبى، مشترك.

١٢- تحقيق مخطوطة «غور الأمور» للحكيمَ الترمذى، مشترك.

١٣- تحقيق مخطوطة «الصراط المستقيم» للفيروز أبادى، مشترك.

١٤- الزواج بين الدين والطب- مشترك - مركز الكتاب للنشر.

١٥- المخدرات بين الدين والطب- مشترك - مركز الكتاب للنشر.

١٦- نورنيات سورة يوسف عليه السلام - تحت الطبع.

١٧- تعليم اللغة العربية بين الفروع والفنون - مشترك.

١٨- دراسات فى تعليم القراءة «مفهومية، ومدخلية، ومهارية»- مشترك.

١٩- تعليم الكتابة العربية بين الماهيه والتراثية- مشترك.

٢٠- تعليم الكتابة- الأسس والمضامين والإبداع الكتابى- مشترك.

٢١- القراءة التحليلية «آليات التحليل القرآنى، ومستوياته، ومهاراته»- مشترك.

٢٢- صفات أهل القرآن.

٢٣- دراسات فى علوم القرآن الكريم.

٢٤- الإعداد لمعجم عن الإمام النورسى- مشترك.

٢٥- تحقيق مخطوطة «لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإيمان».

٢٦- تحقيق مخطوطة «بحر الكلام فى علم التوحيد».

٢٧- تحقيق مخطوطة «تاريخ المساجد الثلاثة».

٢٨- تحقيق مخطوطة «الدرة الفاخرة».

٢٩- الأخطاء الشرعية فى الأمثال العامية.

٣٠- الخط فى التراث العربى الإسلامى.

٣١- خير الزاد فى صلاح العباد.

٣٢- العقيدة والسلوك والانفصام بينهما - مركز الكتاب للنشر.

٣٣- آليات التحليل القرائى ومستوياته.

٣٤- رؤية تطبيقية فى فنى القراءة والكتابة.

٣٥- اللغة العربية نماذج أدبية ونقدية وتحليلية.

٣٦- رؤى جديدة فى تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية.

٣٧- اللغة العربية بين المنحة والمحنة.

٣٨- العلاقات النحويةة البلاغية - دار الندى للنشر.

٣٩- معالم شهر الصيام -مشترك- مركز الكتاب للنشر.

٤٠- قراءة تفسيرية فى سورة التوبة (بين أهل الإيمان وأهل النفاق).

أبحاث منشورة للمؤلف

١ - التسامح فى الإسلام (صور مقابلات).
٢ - الوسيطة والاعتدال فى المنهج الإسلامى.
٣ - طاعة الله ورسوله الكريم وأولى الأمر.
٤ - أصول المنهج العلمى عند العرب والمسلمين.
٥ - قراءة تأملية فى فكر الإمام الغزالى.
٦ - دور المضمون الإعلامى فى النهضة الثقافية للأمة الإسلامية.
٧ - تقويم كتب التربية الإسلامية.
٨ - كتب اللغة العربية والتغيرات الإجماعية.
٩ - التوافق النفسى والآداء الخطى.
١٠- تحديد الأخطاء الهجائية الكتابية.
١١- منهجيا ت تحليل النص الأدبى.
١٢- الأخطاء الإملائية الشائعة فى المرحلة الإعدادية.
١٣- برنامج مقترح فى الكتابة الوظيفية.
١٤- مدى عناية معلمى اللغة العربية بالأخطاء النحوية.
١٥- أخطاء معلمى اللغة العربية فى إعداد دروس القراءة.
١٦- معوقات التذوق الأدبى لدى طلاب الجامعة.
١٧- أسباب رداءة الخطوط لدى التلاميذ.
١٨- المضامين الحضارية فى الدين الإسلامى.
١٩- اللغة العربية جامعة للفكر العربى والإسلامى.
٢٠- قضايا إيمانية حول اسماء اللّه الحسنى.

رقــم الايــداع

٢٠٠٢ / ١٧٩٥٥

مطـابـع آمـــون

٤ الفيروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦